المكتبة الخضراء للأطفال
٣٣

DVD4ARAB

السحرية

بقلم : عبد الله الكبير

دار المعارف

DVD4ARAB

المكتبة الخضراء للأطفال

٣٣

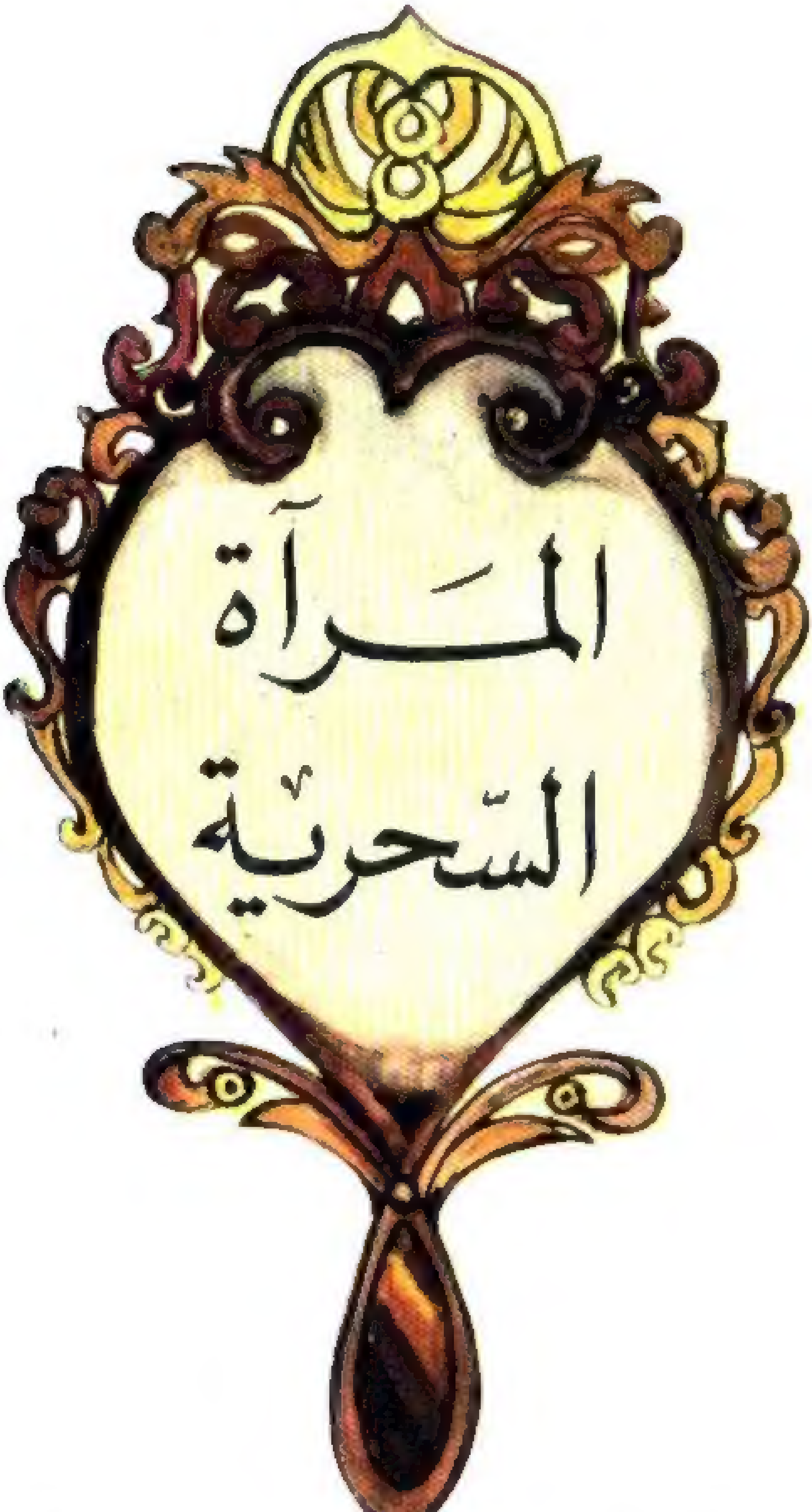

المرآة السحرية

بقلم : عبد الله الكبير

الطبعة الخامسة

دار المعارف

هـــذهِ الْقِصَّـةُ قَدِيمَةٌ . . .

قَدِيمَةٌ جِداً . . . وَأَنْتَ تَسْمَعُهَا فِى كُلِّ مَكَان . . . تَسْمَعُهَا فِى مِصْرَ وَلِيبْيا ، وَفِى تُونِسَ وَالْجزَائِر ، وَفِى الْمَغْرِبِ وَمُورِيتَانْيا ، وَفِى السُّودَانِ وَالصُّومَال ؛ وَتَسْمَعُهَا فِى سُورِيَّةَ وَلُبْنَان ، وَفِى الأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِين، وَفِى الْعِرَاقِ وَالْبَحْرَيْن، وَفِى الْكُوَيْتِ وَالْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّة ، وَفِى دُوَلِ اتِّحَادِ الإمَارَاتِ الْعَرَبِيَّة ؛ كَمَا تَسْمَعُهَا أَيْضاً فِى الْهِنْدِ وَالصِّين ، وَفِى البَاكِسْتَانِ وَالْيَابَان . .

وَلَيْسَ الْعَجِيبُ أَنَّكَ تَسْمَعُ هٰذِهِ الْقِصَّةَ فِى شَرْقِ الدُّنْيَا وَغَرْبِهَا ، وَفِى شَمَالِهَا وَجَنُوبِهَا ، لٰكِنَّ الْعَجِيبَ أَنَّ أَهْلَ كُلِّ بَلَدٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ

هـذِهِ الْقِصَّةَ حَدَثَتْ فِى وَطَنِهِمْ ، وَأَنَّ الْبُلْدَانَ الْأُخْرَى نَقَلَتْهَا عَنْهُمْ . . .

وَنَحْنُ لاَ يُهِمُّنَا كَثِيراً أَنْ نَعْرِفَ فِى أَىِّ بَلَدٍ حَـدَثَتْ هـٰذِهِ الْقِصَّة ، وَلَا فِى أىِّ سَنَةٍ وَقَعَتْ أَحْدَاثُهَا ؛ وَإِنَّمَا يُهِمُّنَا أَنَّ النَّاسَ يُؤَكِّدُونَ أَنَّهَا حَدَثَتْ فِى بَلَدٍ مَّا ، مُنْذُ مِئَاتِ السِّنِينَ .

وَأَبْطَالُ الْقِصَّةِ لَهُمْ آلافُ الْأَسْمَاء ، فَكُلُّ مَنْ يَحْكِيهَا يُسَمِّى الْبَطَلَ اسْماً يُنَاسِبُ الْبَلَدَ الَّذِى تُحْكَى فِيه . . .

فَلْنُسَمِّ نَحْنُ هُنَا الْبَطَلَ الْأَوَّلَ « عَمّ مَنْصُور » . . .

كَانَ « عَمّ مَنْصُور » هـٰذَا صَيَّاداً مَاهِراً ، كَرِيمَ الْخُلُق ، طَيِّبَ الْعِشْرَة . وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ « سَعْدِيَّةُ » طَيِّبَةً مِثْلَه . وَقَدْ رَزَقَهُمَا اللهُ وَلَدًا جَمِيلاً سَمَّيَاهُ « حَسَّان » .

وَكَبِرَ « حَسَّانُ » ، وَصَارَ شَابًّا مِنْ أَقْوَى الشُّبَّانِ وَأَشْجَعِهِم ، مَحْبُوباً مِنْ كُلِّ الَّذِينَ يَعْرِفُونَه ، لِحُسْنِ أَخْلَاقِه ، وَجَمِيلِ صِفَاتِه ، وَطَاعَتِهِ لِأَبَوَيْه ، وَبِرِّهِ بِهِما ، وَلِاحْتِرَامِهِ الْكِبَار ، وَعَطْفِهِ عَلَى الصِّغَار ، وَتَقْدِيمِهِ الْمُسَاعَدَةَ لِلضُّعَفَاءِ وَالْعَجَائِز . . .

وَمَرَّتِ الْأَيَّام ، وَشَاخَ « عمّ مَنْصُور » ، وَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ كُلَّ يَوْمٍ لِلصَّيْد ؛ فَكَانَ ابْنُهُ « حَسَّانُ » يَقُومُ بِالْعَمَلِ وَحْدَهُ فِي أَكْثَرِ الْأَيَّام ، فَيَخْرُجُ قُبَيْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ بِقَارِبِهِ ، وَيُلْقِي شَبَكَتَهُ فِي الْبَحْر ، ثُمَّ يَجْذِبُهَا ، فَتَخْرُجُ مَمْلُوءَةً سَمَكاً مُخْتَلِفَ الْأَصْنَافِ وَالْأَحْجَام ، فَيَبِيعُهُ ، وَيَشْتَرِي بِبَعْضِ ثَمَنِهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَبَوَاهُ

الْعَجُوزَانِ مِنْ طَعَامٍ وَدَوَاء ، وَيَدَّخِرُ مَا يَزِيد . . .

ثُمَّ مَاتَتْ أُمُّ «حَسَّان» ، زَوْجَةُ «عَمّ مَنْصُور» ، فَحَزِنَ الْأَبُ وَالِابْنُ حُزْنًا شَدِيدًا ، وَكَرِهَ الصَّيَّادُ الْعَجُوزُ الْبَقَاء وَحْدَهُ فى الْبَيْت ، فَجَعَلَ يَخْرُجُ مَعَ ابْنِه ، يُعَاوِنُهُ فِى عَمَلِه ، فَتَارَةً يُمْسِكُ دَفَّةَ الْقَارِب ، وَتَارَةً يُحَرِّكُ الْمِجْدَافَيْنِ ، وَابْنُهُ «حَسَّانُ» يُلْقِى الشَّبَكَةَ فِى الْبَحْرِ وَيَشُدُّهَا ، وَيُفْرِغُ فى قَعْرِ الْقَارِبِ مَا يَصْطَاد . . .

وَبَعْدَ أَشْهُرٍ رَأَى «عَمّ مَنْصُور» وَابْنُهُ «حَسَّانُ» السَّمَكَ يَقِلُّ فِى الْمَكَانِ الَّذِى تَعَوَّدَا الصَّيْدَ فِيهِ ، فَفَكَّرَا فِى الِانْتِقَالِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ، فَجَمَعَا أَمْتِعَتَهُمَا الْقَلِيلَة ، وَرَكِبَا قَارِبَهُمَا ، حَتَّى وَصَلَا إِلَى مَكَانٍ رَأَيَا فِيهِ السَّمَكَ يَقْفِزُ فَوْقَ الْمَاء وَيَغُوص ؛ فَعَرَفَا أَنَّهُ مَكَانٌ كَثِيرُ السَّمَك ، يَصْلُحُ لِلصَّيْد ، فَقَرَّرَا أَنْ يُقِيمَا فِيه ، وَأَرْسَيَا قَارِبَهُمَا عَلَى الشَّاطِئ ، وَأَقَامَا مِنْ أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ كُوخاً صَغِيراً ، يَبِيتَانِ فِيه . . .

وَعَادَ الِاثْنَانِ يَصِيدَانِ كُلَّ يَوْمٍ صَيْدًا وَفِيرًا ، يَبِيعَانِهِ فِى سُوقِ الْبَلَد ، وَيَشْتَرِيَانِ مَا يُرِيدَان ، وَيُوَفِّرَانِ مَا يَزِيدُ عَلَى حَاجَتِهِمَا ،

حَتَّى جمعَا مَبْلَغاً اشْتَرَيَا بِهِ بَيْتاً صَغِيراً ، وأَثَاثاً جَدِيداً ، وَقَارِباً كَبِيراً ، وَتَيَسَّرَتْ حَالَتُهمَا ، فَشُفِيَ « عَمّ مَنْصُور » ، وَتَحَسَّنَتْ صِحَّتُه ، وَعَادَتْ إلَيْهِ قُوَّتُهُ وَعَافِيَتُهُ . . .

وَفِي يَوْمٍ طَرَحَ « حَسَّانُ » الشَّبَكَةَ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَشُدُّهَا ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَهَا ، وَهُوَ الشَّابُّ الْفَتِيُّ الْقَوِيّ ، فَنَادَى أَبَاهُ لِيُسَاعِدَه ، فَلَمْ يَقْدِرْ الاثْنَانِ مَعًا إِلَّا عَلَى شَدِّهَا إِلَى جَنْبِ الْقَارِبِ ، وَرَأَيَا فِيهَا سَمَكَةً كَبِيرَة ، كَبِيرَةً جِدًّا ، لَمْ يَسْبِقْ لَهُمَا أَنْ رَأَيَا سَمَكَةً مِثْلَهَا مِنْ قَبْل . وَلَمَّا لَمْ يَقْدِرَا عَلَى رَفْعِهَا إِلَى الْقَارِب ، طَلَبَ « عمّ مَنْصُور » مِنَ ابْنِهِ « حَسَّانَ » أَنْ يَجْرِيَ إِلَى الْبَيْتِ ، وَيُحْضِرَ الْأَنْجَرَ (الهِلْبَ) ، لِيَحْفَظَا بِهِ تَوَازُنَ الْقَارِب ، وَيُثَبِّتَاهُ فِي مَكَانِه ، حَتَّى يُخْرِجَا هٰذِهِ السَّمَكَةَ الْكَبِيرَةَ . . .

جَرَى « حَسَّانُ » إِلَى الْبَيْتِ ، لِيَأْتِيَ بِالْأَنْجَرِ ؛ لٰكِنَّهُ بَحَثَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ فَلَمْ يَجِدْه . وَأَخِيرًا تَذَكَّرَ أَنَّ زَمِيلَهُ « يُوسُفَ » قَدِ اسْتَعَارَهُ مُنْذُ أُسْبُوعٍ ، وَلَمْ يَرُدَّه ؛ فَعَادَ مُسْرِعاً إِلَى أَبِيهِ يُخْبِرُهُ أَنَّ الْأَنْجَرَ لَيْسَ فِي الْبَيْت ؛ لِأَنَّ زَمِيلَهُ « يُوسُفَ » قَدِ اسْتَعَارَهُ مُنْذُ أَيَّامٍ ، وَلَمْ يُرْجِعْهُ بَعْد .

فَاغْتَاظَ « عَمّ مَنْصُور » وَغَضِبَ عَلَى ابْنِهِ غَضَباً شَدِيداً ، وَوَبَّخَهُ تَوْبِيخاً عَنِيفاً ، وَقَالَ لَهُ : لِمَاذَا لَمْ تُحْضِرْ أَنْجَراً آخَرَ مِنْ أَحَدِ الزُّمَلَاءِ ؟ . . . هَيَّا أَمْسِكْ أَنْتَ حَبْلَ الشَّبَكَةِ ، وَسَأَذْهَبُ أَنَا لِأُحْضِرَ أَنْجَراً آخَر ، وَأَجِيءَ بِأَحَدِ الزُّمَلَاءِ ، لِيُسَاعِدَنَا فِي إِخْرَاجِ هٰذِهِ السَّمَكَةِ الْكَبِيرَةِ الْعَجِيبَةِ . . . احْذَرْ أَنْ تَتْرُكَ الْحَبْلَ ، أَوْ أَنْ تَتَرَاخَى فِي شَدِّه . . . إِنَّهَا سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ غَرِيبَة ، لَا يَقِلُّ ثَمَنُهَا عَنْ عَشَرَةِ جُنَيْهَات . . .

لَمْ يَكَدِ الصَّيَّادُ الْعَجُوزُ يَتْرُكُ الْقَارِب ، وَيَصِلُ إِلَى الشَّاطِئْ ، حَتَّى رَأَى « حَسَّانُ » السَّمَكَةَ الْكَبِيرَةَ تَرْفَعُ رَأْسَهَا ، وَتَفْتَحُ فَمَهَا ، وَتَقُولُ لَهُ : يَا « حَسَّانُ » ، يَأَيُّهَا الشَّابُّ الطَّيِّب ، يَاذَا الْقَلْبِ الْحَنُون ، إِنَّ لِي مِئَاتٍ مِنَ الْأَوْلَادِ الصِّغَار ، يَنْتَظِرُونَ عَوْدَتِي إِلَيْهِم ، فَأَطْلِقْ سَرَاحِي ، وَخَلِّ سَبِيلِي ؛ وَسَوْفَ أَحْفَظُ لَكَ هٰذَا الْجَمِيل !

عَجِبَ « حَسَّانُ » مِنْ هٰذِهِ السَّمَكَةِ الْغَرِيبَة ، الَّتِي تَعْرِفُ اسْمَه ، وَتُكَلِّمُهُ بِلِسَانٍ فَصِيح ، وَتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهَا وَأَمْرِه ، وَلَمْ يَدْرِ مَاذَا يَفْعَل ؟ أَيُطْلِقُ السَّمَكَة ، وَيُصَدِّقُ كَلَامَهَا وَوَعْدَهَا ؟ ! . . . وَإِذَا أَطْلَقَهَا فَمَاذَا يَقُولُ

لِأَبِيهِ حِينَمَا يَعُود ؟ !

قَالَتِ السَّمَكَةُ : أَطْلِقْنِي يَا « حَسَّانُ » . . . إِنَّكَ لَنْ تَنْدَمَ ، فَسَوْفَ أَرُدُّ لَكَ هٰذَا الْجَمِيل ، وَأُكَافِئُكَ عَلَى هٰذَا الْإِحْسَان .

قَالَ « حَسَّان » : إِنِّى أُشْفِقُ عَلَى أَوْلَادِكِ الصِّغَار ، وَأُحِبُّ أَنْ أُطْلِقَ سَرَاحَك ، لِتَعُودِى إِلَيْهِم ، لٰكِنِّى أَخَافُ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيَّ أَبِي . .

قَالَتِ السَّمَكَةُ : سَأَنْتَظِرُ فِى الشَّبَكَةِ حَتَّى يَعُودَ أَبُوك . . . وَعِنْدَمَا يَرْجِعُ أَقُومُ بِحَرَكَاتٍ قَوِيَّةٍ عَنِيفَة ، فَتَتَظَاهَرُ أَنْتَ بِأَنَّكَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى إِمْسَاكِ الْحَبْل ، وَبِأَنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ الِاحْتِفَاظِ بِهِ فِى يَدَيْك ، فَتَتْرُكُه ، فَأَغُوصُ أَنَا فِى الْمَاء . . . فَإِذَا غَضِبَ عَلَيْكَ أَبُوك ، وَوَبَّخَك ،

وحاوَلَ أنْ يَضْرِبَك ، فَاقْفِزْ فِي الْمَاء ، وَحِينَئِذٍ أُقَدِّمُ لَكَ مُسَاعَدَتِي . . .

وبَعْدَ قَلِيلٍ عادَ « عَمّ مَنْصُور » ، وَمَعَهُ أَحَدُ زُمَلَائِه ، وَهُمَا يَحْمِلانِ أَنْجَراً كَبِيراً ؛ فَبدأَتِ السَّمَكَةُ تَتَقَلَّبُ فِي الشَّبَكَةِ ، وَتَقُومُ بِحَرَكَاتٍ عَنِيفَة ؛ فَأَخَذَ « حَسَّانُ » يَصِيحُ ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُ يُجَاهِدُ وَيُقَاوِم ، وَنَادَى أَبَاهُ وَزَمِيلَه ، لِيُسْرِعَا إِلَى مُسَاعَدَتِه . . . وَمَا قَفَزَ « عَمّ مَنْصُور » وَزَمِيلُهُ إِلَى الْقَارِب ، حَتَّى أَطْلَقَ « حَسَّانُ » الْحَبْلَ مِنْ يَدَيْه ، فَغَاصَتِ السَّمَكَةُ بِالشَّبَكَةِ فِي الْبَحْر ؛ فَتَمَلَّكَ الْغَيْظُ « عَمّ مَنْصُور » ، وَغَضِبَ عَلَى ابْنِه ، وَوَبَّخَهُ عَلَى إِهْمَالِه ، وَحَاوَلَ أَنْ يَضْرِبَه ، فَقَفَزَ « حَسَّانُ » مِنَ الْقَارِب ، وَغَطَسَ فِي الْمَاء ، فَإِذَا السَّمَكَةُ الْكَبِيرَةُ الْغَرِيبَةُ قَدْ قَطَّعَتِ الشَّبَكَة ، وَفَتَحَتْ فَمَهَا الْوَاسِع ، وَابْتَلَعَتْ « حَسَّان » ، وَسَبَحَتْ بِهِ بَعِيداً بَعِيداً . . .

أَخَذَتِ السَّمَكَةُ تَسْبَحُ ، و « حَسَّانُ » فِي بَطْنِهَا ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى بُحَيْرَةٍ كَبِيرَة ، فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا فَوْقَ سَطْحِ الْمَاء ، وفَتَحَتْ فَمَهَا ، وَزَفَرَتْ زَفْرَةً قَوِيَّةً لَفَظَتْ « حَسَّانَ » إِلَى الشَّاطِئ . . .

وَوَقَفَتِ السَّمَكَةُ حَتَّى اسْتَرَاحَ « حَسَّان » ، وَهَدَأَتْ نَفْسُه ، وَأَفَاقَ

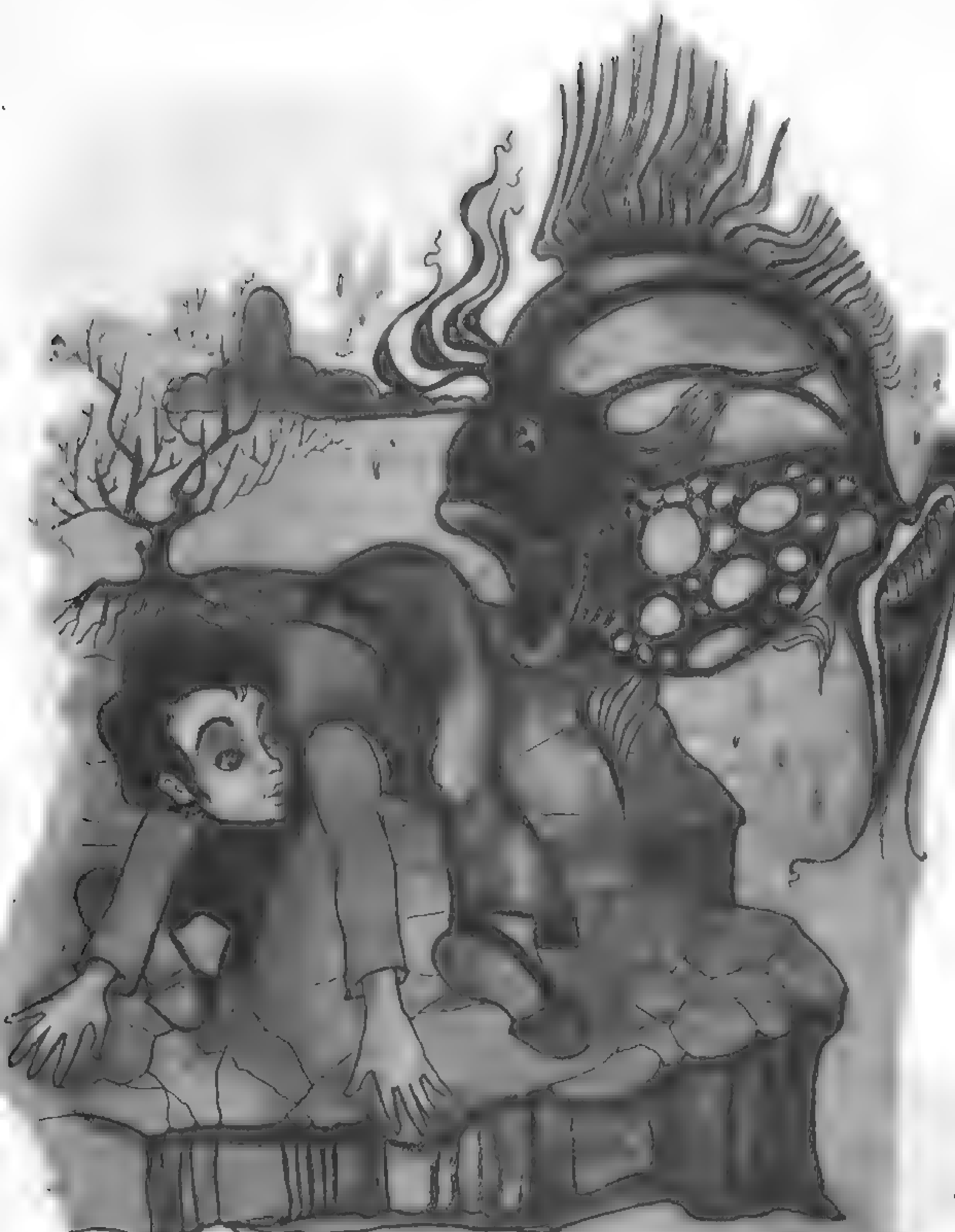

مِنْ غَشْيَتِه ، وَجَعَلَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَه ، فَرَأَى السَّمَكَةَ أَمَامَهُ فِي الْبُحَيْرَة ، تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَهِيَ فَرِحَةٌ تَبْتَسِم ، لَكِنَّهُ خَافَ وَشَعَرَ بِالْوَحْدَة ؛ فَقَالَتْ لَهُ السَّمَكَةُ : يَا « حَسَّانُ » ، إِنَّكَ شَابٌّ طَيِّبُ الْقَلْب ، وَقَدْ أَنْقَذْتَ حَيَاتِي وَأَعَدْتَنِي إِلَى أَوْلَادِي وَأُسْرَتِي الْكَبِيرَة ، وَأَنَا لَنْ أَنْسَى لَكَ هٰذَا الْجَمِيلَ أَبَداً ؛ فَإِذَا احْتَجْتَ يَوْماً إِلَى الْمُسَاعَدَة ، فَتَعَالَ إِلَى هٰذَا الْمَكَان ، وَقِفْ عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا ، وَصَفِّقْ بِيَدَيْكَ ثَلَاثَ مَرَّات ، تَجِدْنِي أَمَامَك . . . وَالْآنَ وَدَاعاً يَا صَدِيقِي الطَّيِّب ، فَسَأَذْهَبُ لِأَرَى أَوْلَادِي وَحَفَدَتِي . . .

وَغَاصَتِ السَّمَكَةُ الْغَرِيبَةُ الْكَبِيرَةُ فِي الْمَاء ، وَاخْتَفَتْ عَنْ عَيْنَيْ « حَسَّان » . . .

أَحَسَّ « حَسَّانُ » الْوَحْدَةَ وَالْغُرْبَة ، وَطَفِقَ يَتَطَلَّعُ فِيمَا حَوْلَه ، فَرَأَى أَرْضاً وَاسِعَةً لَيْسَ فِيهَا كُوخٌ وَلَا بَيْت ، وَلَا إِنْسَانٌ أَوْ حَيَوَان ، فَبَدَأَ يَمْشِي عَلَى شَاطِئِ الْبُحَيْرَةِ حَتَّى رَأَى مَكَاناً بِهِ أَشْجَارٌ وَأَزْهَارٌ وَأَعْشَاب ؛ وَكَانَ التَّعَبُ قَدْ نَالَ مِنْهُ ، فَجَلَسَ يَسْتَرِيحُ فِي ظِلِّ الْأَشْجَار ، وَيَتَأَمَّلُ الْجَمَالَ

الَّذِى يُحِيطُ بِهِ : السَّماء الصَّافِيَة ، وَالْمِيَاه الزَّرْقَاء ، وَالْأَزْهَار الْيَانِعَة ، وَالْأَشْجَارَ الْعَالِيَة ، وَالثِّمَارَ الْمُخْتَلِفَةَ الْأَلْوَان ، الْمُتَعَدِّدَةَ الْأَشْكَال ، الْمُتَنَوِّعَةَ الطُّعُوم ؛ فَأَكَلَ مَا شَاءَ حَتَّى شَبِعَ . . . ثُمَّ غَلَبَهُ النُّعَاس ، فَرَقَدَ عَلَى الْعُشْب ، وَرَاحَ فِى نَوْمٍ عَمِيق . لَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنِ اسْتَيْقَظَ فَزِعاً مَذْعُوراً ، عَلَى صَوْتٍ عَالٍ ، كَأَنَّهُ صَوْتُ اسْتِغَاثَة ؛ فَنَهَضَ مِنْ مَكَانِه ، وَأَخَذَ يَتَلَفَّتُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَال ، يُحَاوِلُ أَنْ يَكْشِفَ مَصْدَرَ الصَّوْت ، فَإِذَا الصَّوْتُ يَصْدُرُ مِنْ أَعْلَى شَجَرَةٍ بَاسِقَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْه . . .

اتَّجَهَ « حَسَّانُ » نَحْوَ الشَّجَرَة ، وَجَعَلَ يُحَدِّقُ بِبَصَرِهِ الْحَادِّ ، فَرَأَى نَسْرَيْنِ صَغِيرَيْنِ فِى عُشِّهِمَا ، يُصَوِّتَان ، وَيُرَفْرِفَانِ بِأَجْنِحَتِهِمَا فِى خَوْفٍ وَفَزَع ؛ فَأَخَذَ يُدِيرُ نَظَرَهُ فِى كُلِّ جِهَة ، لَعَلَّهُ يَكْشِفُ مَا يُخِيفُ هٰذَيْنِ النَّسْرَيْنِ الصَّغِيرَيْن . . . وَيَالَهَوْلِ مَا رَأَى !

رَأَى ثُعْبَاناً ضَخْماً ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْتَلِعَ خَرُوفاً ، يَلْتَفُّ حَوْلَ الشَّجَرَةِ ، وَيَزْحَفُ فِى تَثَاقُلٍ صَاعِدًا إِلَى عُشِّ النَّسْرَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ الْمَذْعُورَيْن ، فَفَهِمَ مَعْنَى اسْتِغَاثَتِهِمَا ، فَتَنَاوَلَ حَجَرًا كَبِيرًا ، وَرَجَمَ بِهِ الثُّعْبَانَ رَجْمَةً

قَوِيَّة ؛ فأَصَابَ الْحَجَرُ رَأْسَ الثُّعْبَان ، فَتَرَنَّحَ تَرَنُّحَ السَّكْرَان ؛ فَرجمهُ « حَسَّانُ » بِحَجَرِ ثَانٍ ، فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ يَتَلَوَّى ، وَيَنْكَمِش وَيَنْبَسِطُ ؛ فَتَنَاوَلَ « حَسَّانُ » الشَّابُّ الْقَوِىُّ الْفَتِيُّ الشُّجَاعُ حَجَـرًا آخَرَ ، وَاقْتَرَبَ مِنَ الثُّعْبَانِ ، وَجَعَلَ يُهَشِّمُ رَأْسَه ، حَتَّى مَاتَ وَسَكَنَتْ حَرَكَتُه . . .

صَاحَ النَّسْرَانِ الصَّغِيرَانِ صَيْحَاتِ الْفَرَح ، وَأَخَذَا يُصَوِّتَانِ فِى ابْتِهَاج ، وَيُرَفْرِفَانِ بِأَجْنِحَتِهِمَا ، وَكَأَنَّهُمَا يُعْرِبَانِ عَنْ شُكْرِهِمَا الْعَمِيقِ لِلشَّابِّ « حَسَّانَ » الشُّجَاع ، الَّذِى قَتَلَ الثُّعْبَان ، وَنَجَّاهُمَا مِنَ ابْتِلَاعِهِ إِيَّاهُمَا ، وَقَالَا لَهُ : لَنْ نَنْسَى لَكَ هٰذَا الْجَمِيل ، أَيُّهَا الشَّابُّ الْقَوِىّ . . اصْعَدْ إِلَيْنَا ، لِنُكَافِئَكَ عَلَى صَنِيعِك . . .

تَسَلَّقَ « حَسَّانُ » الشَّجَرَةَ فى مَهَارَة ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى عُشِّ النَّسْرَيْن ، فَجَعَلَا يَلْمَسَانِ وَجْهَهُ بِمِنْقَارَيْهِمَا ، كَأَنَّهُمَا يُقَبِّلَانِه . . . ثُمَّ قَالَا لَهُ : لَوْلَا شَجَاعَتُكَ ومُرُوءَتُكَ لَابْتَلَعَنَا هٰذَا الثُّعْبَانُ اللَّعِين . . . ولَسَوْفَ يُكَافِئُكَ أَبَوَانَا عَلَى عَمَلِكَ الْعَظِيمِ هٰذَا . . . لٰكِنَّنَا نَخْشَى أَنْ يُؤْذِيَاكَ ، لَوْ رَأَيَاكَ هُنَا ، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَا مَا قَدَّمْتَ لَنَا وَلَهُمَا مِنْ مَعْرُوف . . . إِنَّهُمَا يُوشِكَان

أَنْ يَعُودَا ؛ فَهَيَّا اخْتَبِئْ تَحْتَ أَجْنُحَتِنَا حَتَّى نَقُصَّ عَلَيْهِمَا مَا فَعَلْت . . .

بَعْدَ قَلِيلٍ رَأَى « حَسَّانُ » كَأَنَّ سَحَابَةً قَدْ غَطَّتِ الشَّجَرَة ، وَكَأَنَّ الرِّيحَ تَعْصِفُ ؛ وَشَاهَدَ نَسْرَيْنِ كَبِيرَيْنِ يُحَلِّقَانِ فَوْقَ الشَّجَرَة ، وَيَدُورَانِ دَوْرَاتٍ ثَلاثاً ، ثُمَّ يَهْبِطَانِ إِلَى الْعُشّ . . .

لَمْ يُسْرِعِ النَّسْرَانِ الصَّغِيرَانِ إِلَى أَبَوَيْهِمَا ، وَلَمْ يَلْتَقِطَا مَا حَمَلَا إِلَيْهِمَا مِنْ طَعَامٍ كَعَادَتِهِمَا ؛ فَعَجِبَ الأَبَوَانِ مِنْ أَمْرِهِمَا ، وَسَأَلاهُمَا : مَا بِكُمَا ؟ وَلِمَاذَا تَنْظُرَانِ إِلَيْنَا هٰذِهِ النَّظَرَات ؟ وَلِمَاذَا لاَ تَأْكُلَانِ ؟ . . . فَقَالَ الْفَرْخَانِ مَعاً : مَا جَزَاءُ مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْنَا وإِلَيْكُمَا ، ويَقْتُلُ الثُّعْبَانَ الْخَبِيثَ اللَّعِينَ ؟ !

قَالَ الأَبَوانِ : إِنَّ مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْكُمَا وإِلَيْنَا ، ويَقْتُلُ الثُّعْبَانَ الْمَلْعُون ، يَسْتَحِقُّ مِنَّا كُلَّ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِير ؛ وَمِنَ الْوَاجِبِ أَنْ نُكَافِئَه ، وَأَنْ نَرُدَّ جَمِيلَهُ بِأَحْسَنَ مِنْهُ ! . . . فَقَالَ أَحَدُ الْفَرْخَيْنِ : اُنْظُرَا إِلَى أَسْفَلِ الشَّجَرَة . . . هٰذَا هُوَ الثُّعْبَانُ اللَّعِينُ مَيِّتاً . . . قَتَلَهُ شَابٌّ شُجَاعٌ قَوِيّ ، وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَرِّه . . .

نَظَرَ الْأَبَوَانِ إِلَى الثُّعْبَانِ مُتَكَوِّماً بِجِوَارِ الشَّجَرَةِ ، وَقَالاَ : أَيْنَ هٰذَا الشَّابُّ الْقَوِيُّ الْجَرِيءُ الَّذِي قَتَلَ هٰذَا الْوَحْشَ اللَّئِيمَ ، وَأَنْقَذَكُمَا مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِي كَانَ يَنْتَظِرُكُمَا ؟

رَفَعَ الْفَرْخَانِ أَجْنِحَتَهُمَا ، وَقَالَا : هٰذَا هُوَ الشَّابُّ الشُّجَاعُ الْقَوِيُّ الَّذِي قَتَلَ الثُّعْبَانَ ، وَخَلَّصَنَا مِنَ الْمَوْتِ ، وَنَجَّانَا مِنَ الْهَلَاكِ !

أَحَاطَ النَّسْرَانِ الْكَبِيرَانِ بِالشَّابِّ « حَسَّان » ، وَأَخَذَا يَدِفَّانِ بِأَجْنِحَتِهِمَا ، وَيُومِئَانِ إِلَيْهِ بِرَأْسَيْهِمَا ، إِعْرَاباً لَهُ عَنْ شُكْرِهِمَا وَتَقْدِيرِهِمَا ؛ وَقَالَا لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيْنَا ، أَيُّهَا الْفَتَى الْجَرِيءُ ، إِحْسَاناً مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ ، وَلَنْ نَنْسَى لَكَ هٰذَا الْمَعْرُوفَ أَبَدًا . . . إِنَّ هٰذَا الثُّعْبَانَ اللَّعِينَ كَانَ يَبْتَلِعُ فِرَاخَنَا كُلَّ سَنَةٍ ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا فَرْخاً وَاحِداً حَتَّى يَكْبَرَ ، وَنَفْرَحَ بِهِ . . . فَمَاذَا تُحِبُّ أَنْ نُقَدِّمَ لَكَ ، جَزَاءَ صَنِيعِكَ وَإِحْسَانِكَ ؟

قَالَ « حَسَّانُ » : شُكْراً ، شُكْراً . . أَنَا مَا فَعَلْتُ شَيْئاً يَسْتَحِقُّ الْجَزَاءَ ؛ وَإِنَّمَا فَعَلْتُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ لِإِنْقَاذِ هٰذَيْنِ الْفَرْخَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ الْعَاجِزَيْنِ عَنِ الطَّيَرَانِ ، وَقَتَلْتُ ثُعْبَاناً مُعْتَدِياً مُؤْذِياً . . . وَلَسْتُ الْآنَ مُحْتَاجاً إِلَى

شَيْءٍ إِلَّا أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنَ الْعُمْرَان . . .

قَالَ النَّسْرُ الْأَبُ : مَا أَيْسَرَ مَا تَطْلُب ! وَمَا أَسْهَلَه ! . . ارْكَبْ ظَهْرِي فَأَذْهَبَ بِكَ إِلَى أَقْرَبِ مَكَانٍ مِنَ الْعُمْرَان . . .

رَكِبَ « حَسَّانُ » ظَهْرَ النَّسْرِ الْكَبِير ، فَطَارَ بِهِ النَّسْرُ طَوِيلاً ، حَتَّى ظَهَرَتْ أَمَامَ « حَسَّانَ » مَدِينَةٌ كَبِيرَة ، فَقَالَ لِلنَّسْر : كَفَى . . . أَنْزِلْنِي هُنَا مِنْ فَضْلِك . . .

أَنْزَلَهُ النَّسْرُ فِي مَكَانٍ خَلَاء ، وَوَقَفَ بِجِوَارِهِ لَحْظَةً يُرْشِدُهُ إِلَى أَقْرَبِ طَرِيقٍ إِلَى الْمَدِينَة ، وَيُكَرِّرُ الشُّكْرَ لَهُ . . . وَقَبْلَ أَنْ يُفَارِقَهُ انْتَزَعَ بِمِنْقَارِهِ رِيشَةً مِنْ جَنَاحِه ، وَقَدَّمَهَا إِلَى الشَّابّ ، وَهُوَ يَقُولُ لَه : يَا « حَسَّانُ » الطَّيِّبُ الشُّجَاع ، إِذَا نَزَلَتْ بِكَ شِدَّة ، وَاحْتَجْتَ إِلَى الْمُسَاعَدَة ، فَأَحْرِقْ هٰذِهِ الرِّيشَة ، تَجِدْنِي أَمَامَك . . .

طَارَ النَّسْر ، وَأَخَذَ « حَسَّانُ » يَسِيرُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاء ، مُتَّجِهاً نَحْوَ الْمَدِينَةِ الَّتِي رَآهَا ، وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ النَّسْر . . وَفِي الطَّرِيقِ رَأَى رَجُلًا عَلَى فَرَس ، يَجْرِي يَمِيناً وَشِمَالاً ، وَشَرْقاً وَغَرْباً ، وَرَاءَ ثَعْلَبٍ خَائِفٍ مَذْعُور ،

وَالرَّجُلُ يُطْلِقُ عَلَيْهِ سِهَامَه ، يُرِيدُ أَنْ يَصْطَادَه ، وَالثَّعْلَبُ يَجْرِى بَاحِثاً عَنْ مَكَانٍ يَخْتَبِئُ فِيه ، أَوْ جُحْرٍ يَحْتَمِي بِه . فَقَالَ « حَسَّانُ » فِى نَفْسِه : رُبَّمَا كَانَ لِهٰذَا الثَّعْلَبِ أَوْلَادٌ صِغَار ، كَفَرْخِي النَّسرِ وَأَوْلَادِ السَّمَكَةِ الْغَرِيبَة ، فَأَخَذَ يَجْرِى وَرَاءَ الصَّيَّادِ ، وَهُوَ يَصِيحُ بِه ؛ فَوَقَفَ الرَّجُل ، وَسَأَلَ « حَسَّانَ » عَمَّا يُرِيد ، فَجَعَلَ « حَسَّانُ » يَرْجُوهُ أَنْ يَتْرُكَ الثَّعْلَبَ

الْمِسْكِينِ ، وَأَلَّا يَقْتُلَهُ بِسِهَامِهِ ، فَقَدْ يَكُونُ لَهُ أَوْلَادٌ صِغَارٌ يَنْتَظِرُونَ عَوْدَتَه ؛ فَتَأَثَّرَ الرَّجُلُ بِكَلَامِ « حَسَّانَ » اللَّيِّنِ اللَّطِيفِ ، واسْتَجَابَ لِرَجَائِه ، وَتَرَكَ الثَّعْلَب ، وَسَارَ بِحِصَانِهِ إِلَى الْمَدِينَة . . .

لَمَّا غَابَ الرَّجُلُ عَنْ نَظَرِ « حَسَّانَ » وَالثَّعْلَب ، أَخَذَ الثَّعْلَبُ يَقْتَرِبُ مِنْ « حَسَّانَ » فِي حَذَر ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ يَدْنُوَ مِنْه ، فَاطْمَأَنَّ الثَّعْلَب ، وَجَرَى نَحْوَه ، وَجَعَلَ يَشْكُرُه ، وَيَقُولُ لَهُ : لَنْ أَنْسَى لَكَ هٰذَا الْجَمِيلَ مَا دُمْتُ حَيًّا ، أَيُّهَا الشَّابُّ الطَّيِّبُ النَّبِيل . . . فَمَاذَا تُحِبُّ أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ تَعْبِيراً عَنْ عَمِيقِ شُكْرِي ، وَعَظِيمِ تَقْدِيرِي ، لِإِنْقَاذِي مِنَ الْمَوْت ؟ !

قَالَ « حَسَّان » : لَسْتُ الْآنَ فِي حَاجَةٍ إِلَى شَيْء . . اِذْهَبْ أَنْتَ مَعَ السَّلَامَة !

نَزَعَ الثَّعْلَبُ بِفَمِهِ بَعْضَ شَعَرَاتٍ مِنْ ذَيْلِه ، وَقَدَّمَهَا إِلَى « حَسَّان » وَقَالَ لَه : إِذَا وَقَعتَ فِي خَطَر ، وَاحْتَجْتَ إِلَى مُسَاعَدَة ، فَأَشْعِلِ النَّارَ فِي هٰذِهِ الشَّعَرَاتِ ، فَأَشُمَّ رَائِحَتَهَا حَيْثُمَا أَكُنْ ، فَأُقْبِلَ إِلَى مُسَاعَدَتِكَ فِي الْحَال . . . قَالَ الثَّعْلَبُ هٰذَا ، وَجَرَى حَتَّى اخْتَفَى عَنْ نَظَرِ « حَسَّان » . . .

اسْتَمَرَّ « حَسَّانُ » يَمْشِي حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ الَّتِي رَآهَا وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ النَّسرِ الْكَبِير ، فَوَجَدَ النَّاسَ يَسِيرُونَ جَمَاعَاتٍ فِي اتِّجَاهٍ وَاحِد ، فَعَجِبَ أَيَّمَا عَجَب ، وَدَنَا مِنْ أَحَدِهِمْ وَسَأَلَه : لِمَاذَا يَسِيرُ النَّاسُ جَمِيعاً إِلَى جِهَةِ الْغَرْب ؟ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُون ؟

فَأَجَابَهُ الرَّجُلُ : إِنَّنَا ذَاهِبُونَ إِلَى مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة . . .

– مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ؟ ! مَا هٰذَا الْمَيْدَان ؟ وَلِمَاذَا تَذْهَبُونَ جَمِيعاً إِلَيْه ؟ !

– أَلَا تَعْرِفُ مَيْدَانَ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ؟ ! . . . أَأَنْتَ غَرِيبٌ عَنْ بَلَدِنا ؟ !

– نَعَم ، أَنَا غَرِيبٌ عَنْ مَدِينَتِكُم ، وَلَمْ أَدْخُلْهَا إِلَّا مُنْذُ لَحَظَات . . .

– إِنَّنَا ذَاهِبُونَ إِلَى مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ، لِنُشَاهِدَ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ الشُّبَّان ، وَهُوَ يَقِفُ فِي وَسَطِ الْمَيْدَان ، أَمَامَ الْمَلِكِ وَأُسْرَتِهِ وَحَاشِيَتِه ، وَأَمَامَ الشَّعْب ، وَيَخْلَعُ ثِيَابَ الْإِمَارَةِ الْمُزَرْكَشَة ، الْمُزَيَّنَة بِالْأَوْسِمَةِ وَالشَّارَات ، وَيَرْتَدِي فَرْوَةَ خَرُوف ، وَيَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ طُرْطُوراً مِثْلَ طُرْطُور

« البِلْيانْشُو » ، ثُمَّ يَجْرِى فِى الْمَيْدانِ حافِياً ، فيقطعُ السَّاحَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلى آخِرِهَا سَبْعَ مَرَّات . وَالْحَاضِرُونَ يَضْحكُونَ وَيُقَهْقِهُون ، سَاخِرِينَ مِنْه مُسْتَهْزِئِينَ بِه . . . ثُمَّ يُطْرَدُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى دقَّاتِ الطُّبُولِ وَتَصْفِيقِ الأَوْلَاد . .

– وَلِمَاذَا يُفْعَلُ بِالأَمِيرِ هٰذَا كُلُّه ؟ ! . . . أَىَّ ذَنْبٍ جَنَى ؟ وَأَىَّ

جَرِيمَةٍ ارْتَكَبَ حَتَّى اسْتَحَقَّ هٰذِهِ السُّخْرِيَة ، وَهٰذَا الطَّرْد مِنَ الْبَلَد ؟ !

– إِنَّهُ لَمْ يَجْنِ أَىَّ جِنَايَة ، وَلَا ارْتَكَبَ أَىَّ جَرِيمَة ، سِوَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ تَنْفِيذَ شَرْطِ الأَمِيرَة ، بِنْتِ الْمَلِك !

– وَمَا شَرْطُ الْأَمِيرَةِ هٰذَا حَتَّى يُحْكَمَ عَلَى مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ تَنْفِيذَهُ بِهٰذَا الْعِقَابِ الْعَجِيب ؟ !

– شَرْطُهَا أَنْ يَخْتَبِئَ فِى مَكَانٍ لَا تَكْشِفُهُ مِرْآةُ الْأَمِيرَة . . .

– مَاذَا تَقُول ؟ إِنِّى لَمْ أَفْهَمْ شَيْئاً ؛ فَهَلْ تَتَفَضَّلُ بِتَوْضِيحِ الْأَمْر ؟

– إِنَّ الْأَمِيرَةَ عِنْدَهَا مِرْآةٌ سِحْرِيَّة ، تَكْشِفُ لَهَا كُلَّ شَىْء ، فِى الْبَرِّ وَفِى الْبَحْرِ وَفِى الجَوّ . . . وَالْأَمِيرَةُ تَشْتَرِطُ عَلَى مَنْ يَتَقَدَّمُ لِخِطْبَتِهَا أَنْ يَخْتَبِئَ فِى أَىِّ مَكَان ، وَتَمْنَحُهُ فُرْصَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِيَخْتَبِئ . . . وَبَعْدَ هٰذِهِ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَة ، تَصْعَدُ الْأَمِيرَةُ إِلَى سَطْحِ الْقَصْرِ الْمَلَكِىّ ، وَمَعَهَا مِرْآتُهَا السِّحْرِيَّة ، فَتُدِيرُهَا فِى كُلِّ اتِّجَاه ، وَهِىَ تَنْظُرُ فِيهَا ؛ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ الِاهْتِدَاءَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِى اخْتَبَأَ فِيهِ مَنْ يُرِيدُ الزَّوَاجَ مِنْهَا قَبِلَتْ خِطْبَتَه ، وَرَضِيَتْ بِهِ زَوْجاً لَهَا . . . وَإِنْ عَرَفَتِ الْمَكَانَ الَّذِى يَخْتَبِئُ فِيهِ أَرْسَلَتِ الْجُنُودَ لِيَقْبِضُوا عَلَيْه ، وَعَاقَبَتْهُ هٰذَا الْعِقَابَ الْعَجِيبَ : يَخْلَعُ ثِيَابَهُ الْأَنِيقَة ، وَيَرْتَدِى فَرْوَةَ خَرُوف ، وَيَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ طُرْطُوراً ، وَيَذْهَبُ إِلَى مَجْلِسِ الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةِ وَالْأَمِيرَة ، فَيَنْحَنِى أَمَامَهُمْ فِى خُشُوع ، ثُمَّ يَبْدَأُ يَجْرِى ، حَتَّى يَقْطَعَ السَّاحَةَ الْوَاسِعَةَ سَبْعَ مَرَّات ، وَهُوَ حَافٍ ، وَفِى هٰذَا الشَّكْلِ الْمُضْحِك . . . وَبَعْدَ ذٰلِكَ يُطْرَدُ مِنَ الْمَدِينَةِ مُشَيَّعاً بِسُخْرِيَةِ الْجَمِيع . . .

– وَهَلْ حَدَثَ مِثْلُ هٰـذَا قَبْلَ الْيَوْمِ ؟

– أوه ! لَقَدْ ضَحِكْنَا قَبْلَ الْيَوْمِ مِنْ عَشَرَاتِ الْأُمَرَاءِ ؛ فَمِنَ الْمُؤْسِفِ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْتَبِئَ بِحَيْثُ لَا تَكْشِفُهُ الْمِرْآةُ السِّحْرِيَّة . . . وَكَمْ مِنْ أُمَرَاءَ كَانُوا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْجَمَالِ لَبِسُوا فَرْوَةَ الْخَرُوف ، وَوَضَعُوا الطُّرْطُورَ فَوْقَ رُءُوسِهِم ، وَدَارُوا الْمَيْدَانَ وَهُمْ حُفَاة ، لِأَنَّ الْمِرْآةَ السِّحْرِيَّةَ كَشَفَتْ مَخَابِئَهُمْ ! . . وَيُقَالُ إِنَّ الْأَمِيرَةَ تَحْتَفِظُ بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا لِخِطْبَتِهَا ، وَكَشَفَتْهُمْ مِرْآتُهَا السِّحْرِيَّة . . .

– يَا لَلْفَظَاعَة ! إِنَّ أَمِيرَتَكُمْ هٰذِهِ شِرِّيرَةٌ قَاسِيَة ، وَلَا بُدَّ من تَأْدِيبِهَا . . . وَسَأَكُونُ أَنَا مُؤَدِّبَهَا . . .

– ها ها . . . ابْتَعِدْ ، أَيُّهَا الشَّابُّ الْغَرِيبُ ، عَنْ هٰـذَا الطَّرِيق ، وَإِلَّا اجْتَمَعْنَا يَوْماً فِي مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ، لِنَسْخَرَ مِنْك ، وَنَضْحَكَ مِنْ مَنْظَرِكَ وَأَنْتَ تَرْتَدِي فَرْوَةَ الْخَرُوف ، وَتَجْرِي حَافِياً ، وَعَلَى رَأْسِكَ طُرْطُور !

– سَأُجَرِّبُ حَظِّى . . . فَقَدْ أَنْجح ، وَلَا تَكْشِفُ الْمِرْآةُ مَخْبَئِى . . .
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ !

* * *

صَمَّمَ الْفَتَى الشُّجَاعُ « حَسَّانُ » عَلَى أَنْ يُجَرِّبَ حَظَّه ، وَأَنْ يَتَقَدَّمَ لِخِطْبَةِ الْأَمِيرَة ، فَرُبَّمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْجح ، فَيُؤَدِّبَ الْأَمِيرَةَ الْقَاسِيَة ، وَيُنْقِذَ الْأُمَرَاءَ مِنْ سُخْرِيَتِهَا ؛ فَذَهَبَ فِى الْيَوْمِ التَّالِى إِلَى الْقَصْرِ الْمَلَكِىّ ، وَاسْتَأْذَنَ فِى مُقَابَلَةِ الْمَلِك ؛ فَلَمَّا أُذِنَ لَه ، وَقَفَ أَمَامَهُ فِى أَدَب ، وَحَيَّاهُ فِى إِجْلَال ؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَلِكُ تَحِيَّتَه ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُه ، وَيَنْظُرُ إِلَى ثِيَابِهِ الْعَادِيَّة ، ثُمَّ سَأَلَه : مَاذَا تُرِيدُ أَيُّهَا الشَّابّ ؟ فَقَالَ « حَسَّانُ » فِى شَجَاعَة : لَقَدْ عَرَفْتُ شَرْطَ الْأَمِيرَة ، وَإِنِّى أَطْلُبُ يَدَهَا ، وَأَخْطُبُهَا لِتَكُونَ زَوْجَةً لِى .

دَعَا الْمَلِكُ ابْنَتَهُ لِتَرَى هٰذَا الْخَاطِبَ الْجَدِيد ، فَجَعَلَتْ تَتَأَمَّلُه ، وَتَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ، وَأَعْجَبَهَا أَدَبُهُ الْجَمّ ، وَجُرْأَتُهُ الْمُهَذَّبَة ، وَكَلَامُهُ الْفَصِيحُ الَّذِى يَدُلُّ عَلَى الْإِيمَانِ بِالله ، وَالثِّقَةِ بِالنَّفْس . . . كَمَا أَعْجَبَهَا اعْتِدَالُ قَدِّه ، وَوَسَامَةُ خَلْقِه ، فَقَالَتْ لَه : أَمُسْتَعِدٌّ أَنْتَ لِتَنْفِيذِ شَرْطِى ؟ . . .

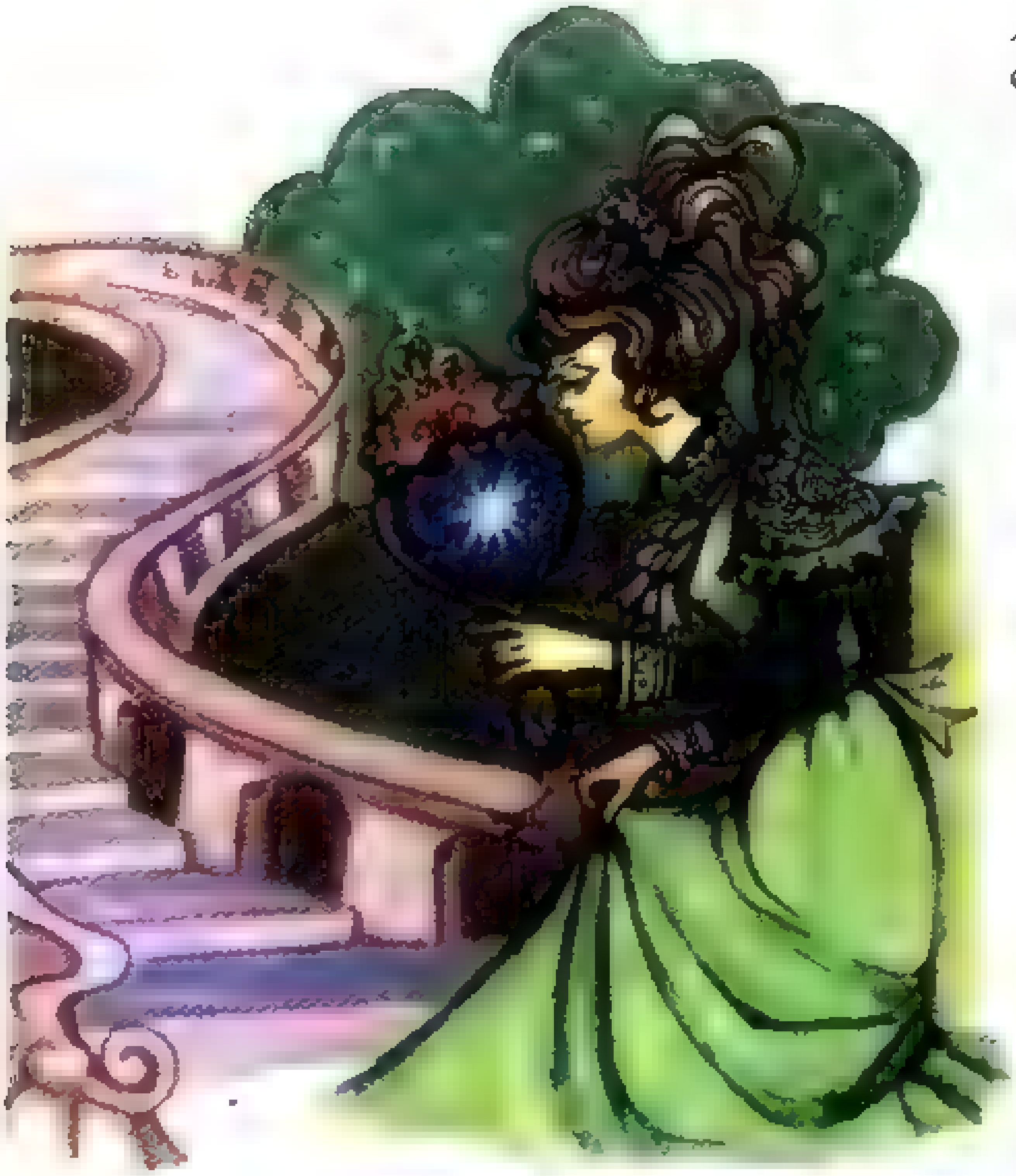

وَهَلْ تَعْرِفُ جَزَاءَ مَنْ تَكْشِفُ مِرْآتِي مَكَانَه ؟ . . . إِنَّ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْتَفِيَ عَنْ مِرْآتِي . . .

– أَعْرِفُ ، أَيَّتُهَا الْأَمِيرَةُ ، مَا يَحْدُثُ لَهُ . . .

– إِنْ كُنْتَ مُصِرًّا عَلَى خِطْبَتِي ، فَحَاوِلْ أَنْ تَخْتَفِيَ بِحَيْثُ لَا تَرَاكَ مِرْآتِي السِّحْرِيَّة . . . سَأَصْعَدُ إِلَى سَطْحِ الْقَصْرِ ، بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّام ، وَأَنْظُرُ فِي مِرْآتِي ، فَإِنْ رَأَيْتُكَ قَبَضَ عَلَيْكَ الْجُنْد ، وَسَاقُوكَ إِلَى سَاحَةِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة . . .

– وَأَلْبَسُونِي فَرْوَةَ الْخَرُوفِ وَالطُّرْطُور . . . أَعْرِفُ كُلَّ شَيْء ، أَيَّتُهَا الْأَمِيرَة ، وَإِنِّي مُسْتَعِدٌّ لِتَنْفِيذِ شَرْطِك . . . إِلَى اللِّقَاء !

* * *

خَرَجَ « حَسَّانُ » مِنَ الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ ، وَقَدِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الْأَمِيرَةِ ، فَقَدْ كَانَتْ أَجْمَلَ فَتَاةٍ رَآهَا فِي حَيَاتِهِ . . . وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْأَمِيرَةَ كَانَتْ أَوْفَرَ الْأَمِيرَاتِ جَمَالًا وَذَكَاءً ، وَلَمْ يَكُنْ بِهَا عَيْبٌ سِوَى غُرُورِهَا بِتَفَوُّقِهَا عَلَى الْأَمِيرَاتِ جَمِيعاً . وَلِمَا اشْتَهَرَتْ بِهِ مِنْ جَمَالٍ وَذَكَاءٍ وَثَرْوَةٍ ، كَانَ الْأُمَرَاءُ يَأْتُونَ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ جِداً طَالِبِينَ الزَّوَاجَ بِهَا ، فَكَانَتْ تَشْتَرِطُ عَلَيْهِمْ الِاخْتِفَاءَ عَنْ مِرْآتِهَا السِّحْرِيَّةِ ، ثُمَّ تَسْخَرُ مِنْهُمْ وَتَطْرُدُهُمْ . . .

أَخَذَ « حَسَّانُ » يَجْرِي وَيَجْرِي حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَاطِئِ الْبُحَيْرَةِ الَّذِي لَفَظَتْهُ عَلَيْهِ السَّمَكَةُ الْكَبِيرَةُ الْغَرِيبَةُ ، وَوَقَفَ فَوْقَ الصَّخْرَةِ الَّتِي عَيَّنَتْهَا لَهُ . وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَظَهَرَتْ لَهُ السَّمَكَةُ فِي الْحَالِ ، وَقَالَتْ : أَهْلًا بِكَ يَا صَدِيقِي الطَّيِّب . . . مَاذَا جَرَى ؟ قُلْ لِي مَا حَدَثَ ، فَقَدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً يُسَاعِدُكَ .

قَصَّ « حَسَّانُ » عَلَى السَّمَكَةِ قِصَّةَ الْأَمِيرَةِ الَّتِي خَطَبَهَا ، وَذَكَرَ لَهَا الشَّرْطَ الَّذِي شَرَطَتْهُ ؛ فَطَمْأَنَتْهُ السَّمَكَةُ ، وَقَالَتْ لَهُ : سَأُخْفِيكَ فِي مَكَانٍ لَا تَكْشِفُهُ مِرْآتُهَا السِّحْرِيَّةُ . هَيَّا ، يَا صَدِيقِي ، اقْفِزْ إِلَى الْمَاءِ ، فَأَبْتَلِعَكَ

وَأَغُوصَ بِكَ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ، فَلَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ مَكَانَكَ . . .

قَفَزَ « حَسَّانُ » إِلَى الْمَاءِ ، وَابْتَلَعَتْهُ السَّمَكَةُ الْكَبِيرَة ، وَغَاصَتْ بِهِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى قَاعِ الْبُحَيْرَة ، وَأَمَرَتْ أُسْرَتَهَا الَّتِي لَا يُحْصَى لَهَا عَدَدٌ أَنْ تَتَجَمَّعَ حَوْلَهَا ، وَأَنْ تُحَرِّكَ الْمَاءَ بِذُيُولِهَا وَزَعَانِفِهَا ، لِتَتَعَكَّرَ الْمِيَاه ، فَلَا يَظْهَرُ « حَسَّانُ » فِي الْمِرْآةِ السِّحْرِيَّة ! فَلَمَّا تَعَكَّرَتِ الْمِيَاه ، وَلَمْ تَعُدِ السَّمَكَةُ تُبْصِرُ شَيْئاً مِمَّا حَوْلَهَا ، ظَنَّتْ أَنَّ صَدِيقَهَا سَيَكُونُ فِي أَمَان ،

وَأَنَّ الْأَمِيرَةَ لَنْ تَهْتَدِىَ إِلَى مَكَانِهِ ، فَخَرَجَتْ بِهِ إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ ، وَلَفَظَتْهُ عَلَى الشَّاطِئِ ، وَكَانَتْ تَظْهَرُ فَوْقَ الْمَاءِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ ، لِتَطْمَئِنَّ عَلَى صَدِيقِهَا . وَفِى ظُهْرِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ أَخْرَجَتِ السَّمَكَةُ رَأْسَهَا مِنَ الْمَاءِ ، وَنَادَتْ صَدِيقَهَا « حَسَّان » ، وَقَالَتْ لَه : ذَكَرْتَ لِى أَنَّ الْأَمِيرَةَ سَتَنْظُرُ فِى مِرْآتِهَا عَصْرَ هٰذَا الْيَوْمِ ، فَتَعَالَ لِأُخْفِيَكَ . . . وَابْتَلَعَتْهُ ، وَغَاصَتْ بِهِ . . .

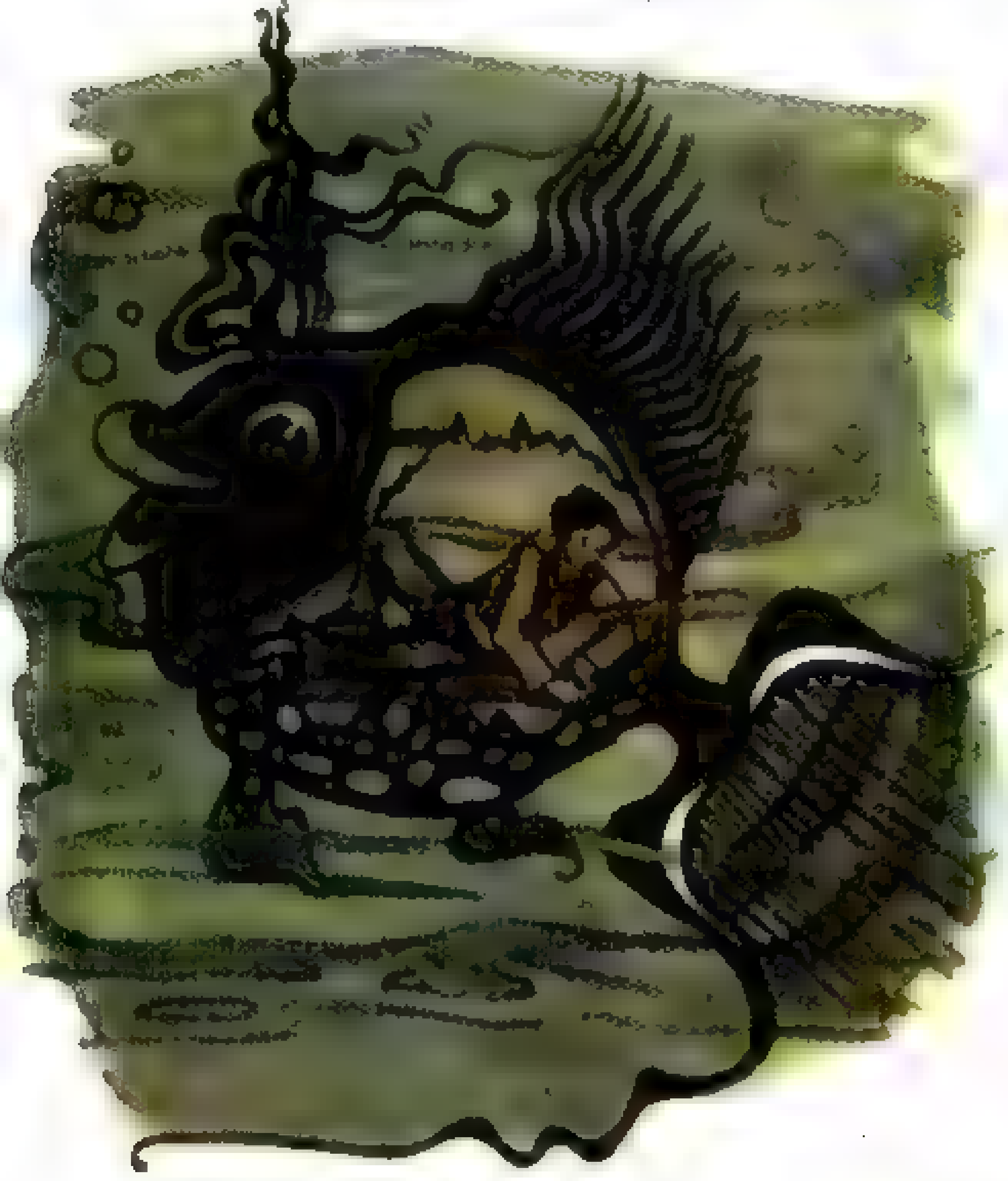

وَفِى الْعَصْرِ صَعِدَتِ الْأَمِيرَةُ إِلَى سَطْحِ الْقَصْرِ ، وَبِيَدِهَا مِرْآتُهَا السِّحْرِيَّة ، وَأَخَذَتْ تُحَرِّكُهَا فِى كُلِّ جِهَة ، فَلَمْ تَرَ « حَسَّانَ » فِى أَىِّ مَكَان ، فَاغْتَاظَتْ لِاخْتِفَائِهِ الْعَجِيبِ ، وَهَمَّتْ بِالنُّزُولِ ، فَمَالَتِ الْمِرْآةُ نَحْوَ الْبُحَيْرَة ، فَشَاهَدَتِ الْأَمِيرَةُ تَجَمُّعَ السَّمَكِ فِى مَكَانٍ مُعَيَّن ، وَتَعَكُّرَ الْمَاء . فَحَدَّقَتْ إِلَى الْمِرْآة ، وَحَدَّدَتِ النَّظَر ، فَرَأَتْ « حَسَّانَ » فِى

بَطْنِ السَّمَكَةِ الْكَبِيرَة ، فَنَزَلَتِ السُّلَّمَ فِي سُرْعَة ، وَهِيَ فِي غَايَةِ الْبَهْجَةِ وَالْفَرَح ، وَأَمَرَتِ الْجُنُودَ بِالذَّهَابِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي رَأَتْ فِيهِ السَّمَكَة ، وَوَصَّتِ الْغَوَّاصِينَ بِبَذْلِ جُهْدِهِمْ فِي صَيْدِهَا . . .

غَاصَ الْغَوَّاصُونَ إِلَى أَعْمَاقِ الْبُحَيْرَة ، وَأَحَاطُوا بِالسَّمَكَةِ الْكَبِيرَة ، وَكَادُوا يَقْبِضُونَ عَلَيْهَا ، لَكِنَّهَا اسْتَطَاعَتِ الْفِرَارَ مِنْ بَيْنِهِم ، وَأَخَذَتْ تَسْبَحُ فِي الْأَعْمَاقِ يَمِيناً وَشِمَالًا ، وَتَصْعَدُ وَتَهْبِطِ ، وَالْغَوَّاصُونَ يَسْبَحُونَ وَرَاءَهَا ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ اللَّحَاقَ بِهَا . . .

شَعَرَ « حَسَّانُ » بِمَا يَجْرِي حَوْلَه ، فَخَافَ أَنْ يُصِيبَ الْغَوَّاصُونَ السَّمَكَةَ بِأَذًى ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَحْنَثَ بِوَعْدِه ، فَطَلَبَ مِنَ السَّمَكَةِ أَنْ تَلْفِظَهُ عَلَى الشَّاطِئْ ، فَلَفَظَتْه ، فَرَأَى الْجُنُودَ يَنْتَظِرُونَهُ وَأَسْلِحَتُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، فَاسْتَسْلَمَ لَهُمْ . . . فَرَفَعَتِ السَّمَكَةَ رَأْسَهَا تَنْظُرُ إِلَى الْجَمْعِ الْحَاشِد ، وَدُمُوعُهَا تَسِيلُ مِنْ عَيْنَيْهَا . . .

وَوَقَفَ « حَسَّانُ » أَمَامَ الْأَمِيرَة ، وَالْجُنُودُ يُحِيطُونَ بِه ، فَقَالَتْ لَهُ :

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ مِنْ قَبْلُ إِنَّ أَحَدًا مَا لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَخْتَفِيَ عَنْ مِرْآتِي ؟ . .

لَا بُدَّ أَنْ تَنَالَ جَزَاءَك . . . خُذُوهُ إِلَى الْمَيْدَان . . .

فَقَالَ الْمَلِك : يَابُنَيَّتِي الحَبِيبَة ، إِنَّ هٰذَا الشَّابَّ الْجَرِيءَ قَدْ حَاوَلَ الِاخْتِفَاءَ بِطَرِيقَةٍ عَجِيبَة ، فَعَاشَ فِي بَطْنِ سَمَكَة ، فَامْنَحِيهِ فُرْصَةً أُخْرَى . .

وَالْحَقُّ أَنَّ الْأَمِيرَةَ كَانَتْ مُعْجَبَةً بِجُرْأَةِ « حَسَّانَ » وَشَجَاعَتِه ، فَقَالَتْ لِأَبِيهَا الْمَلِك : إِنِّي أَمْنَحُهُ فُرْصَةً أُخْرَى إِطَاعَةً لِأَمْرِكَ ، يَا أَبِي الْعَزِيز .

خَرَجَ « حَسَّانُ » حَزِيناً حَائِراً ، فَفَكَّرَ فِي أَنْ يُغَادِرَ الْمَدِينَة ، لٰكِنَّهُ تَذَكَّرَ النَّسْرَ وَالرِّيشَةَ الَّتِي نَزَعَهَا بِمِنْقَارِهِ مِنْ جَنَاحِه ، وَقَوْلَهُ لَه : إِذَا احْتَجْتَ إِلَى مُسَاعَدَةٍ فَأَحْرِقْ هٰذِهِ الرِّيشَةَ تَجِدْنِي أَمَامَك !

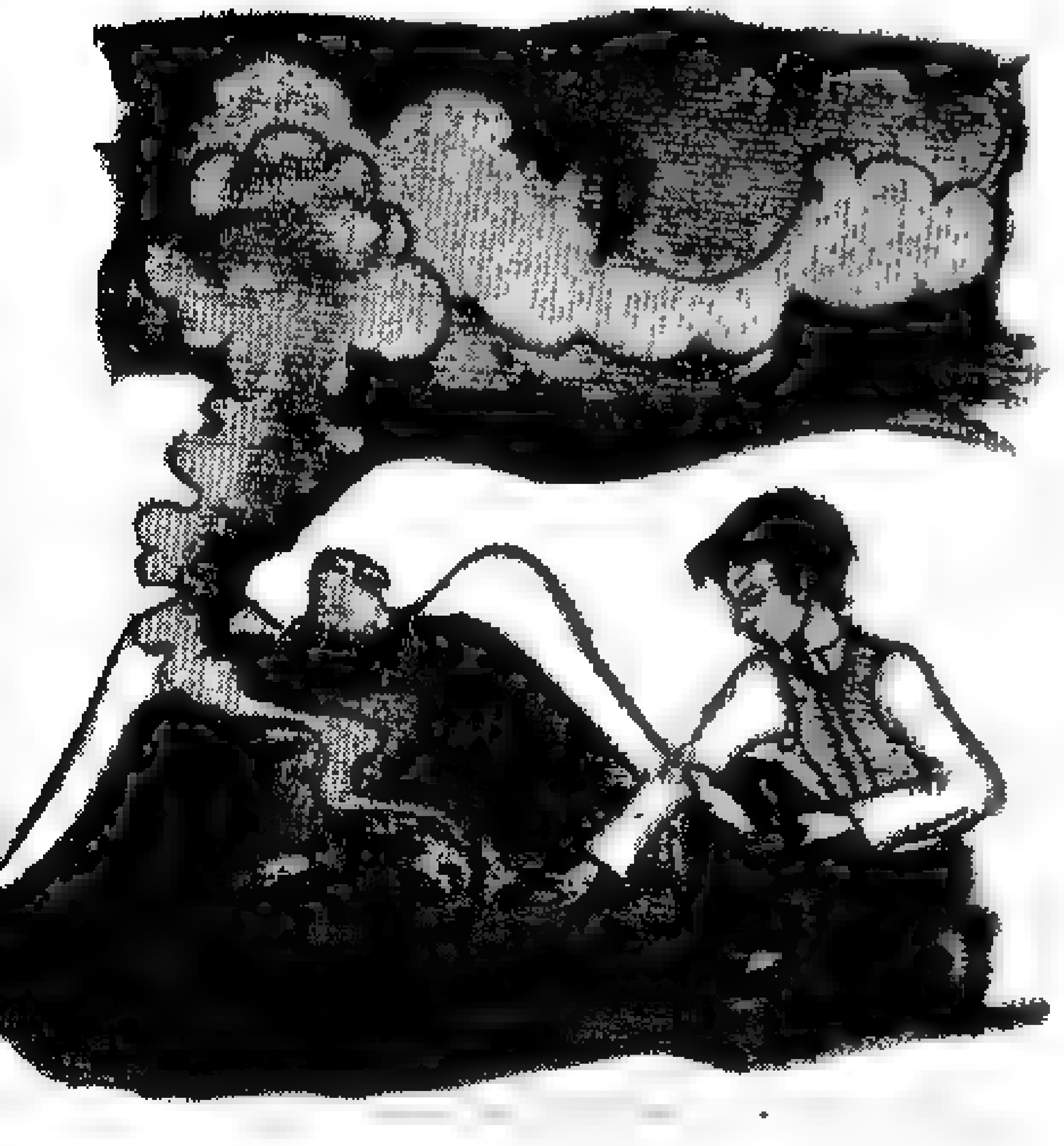

جَدَّ « حَسَّانُ » فِي سَيْرِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَة ، فَصَارَ يَمْشِي حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِيهِ النَّسْر ، فَأَخْرَجَ الرِّيشَةَ مِنْ كِيسِه ، وَأَشْعَلَ فِيهَا النَّار ، فَرَأَى الْجَوَّ يُظْلِم ، وَكَأَنَّ سَحَابَةً كَبِيرَةً قَدْ

حَجَبَتِ الشَّمْس ؛ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّماء ، فَرَأَى النَّسْرَ يَدُورُ فَوْقَه . ثُمَّ يَهْبِطُ أَمَامَه ، وَيَحْنِي رَأْسَهُ يُحَيِّيه ، وَيَنْقُرُ الأَرْض بِمِنْقَارِهِ ، وَيَقُولُ : خَيْراً ، يَا صَدِيقِي الْعَزِيز. مَاذَا جرَى ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ أَنْ أُحْضِرَهُ إِلَيْك . . قُلْ . . إِنِّي مُسْتَعِدٌّ لِأَيِّ طَلَبٍ تَطْلُبُه !

قَصَّ « حَسَّانُ » عَلَى النَّسْرِ قِصَّتَهُ مَعَ الأَمِيرَة ، وَكَيْفَ اخْتَفَى فِي بَطْنِ السَّمَكَة ، وَكَيْفَ كَشَفَتِ الأَمِيرَةُ مَكَانَهُ بِمِرْآتِهَا السِّحْرِيَّة . وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُسَاعِدَهُ عَلَى الاخْتِفَاء فِي مَكَانٍ لَا تَكْشِفُهُ الْمِرْآة . . .

حَرَّكَ النَّسْرُ جَنَاحَيْهِ الْكَبِيرَيْن ، وَهَزَّ رَأْسَه ، وَقَالَ : هٰذَا أَمْرٌ سَهْلٌ ، يَا صَدِيقِي الْعَزِيز . . . سَأَحْمِلُكَ عَلَى ظَهْرِي ، وَأَطِيرُ بِكَ فِي الْفَضَاء الْعَالِي ، فَلَا تَسْتَطِيعُ الأَمِيرَةُ أَنْ تَرَاكَ بِمِرْآتِهَا السِّحْرِيَّة ، وَأَنْتَ فِي عَنَانِ السَّماء . . . هَيَّا ارْكَبْ ظَهْرِي ، وَتَوَكَّلْ عَلَى الله . . .

رَكِبَ « حَسَّانُ » ظَهْرَ النَّسْر ، فَطَارَ بِهِ حَتَّى ذَهَبَا إِلَى النَّبْعِ وَالأَشْجَارِ وَالأَزْهَارِ وَالثِّمَار ، فَأَنْزَلَهُ هُنَاكَ ، وقَالَ لَه : ابْقَ هُنَا يَوْمَيْن ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أُحَلِّقُ بِكَ عَالِياً عَالِياً ، فَلَا تَظْهَرُ فِي الْمِرْآةِ السِّحْرِيَّة . . .

وَفِى الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، وَفِى السَّاعَةِ الْمُحَدَّدَةِ ، صَعِدَتِ الْأَمِيرَةُ بِمِرْآتِهَا إِلَى سَطْحِ الْقَصْرِ ، وَأَخَذَتْ تُدِيرُهَا فِى كُلِّ الْجِهَاتِ ، وَتُحَدِّقُ إِلَيْهَا ، فَمَا رَأَتْ « حَسَّانَ » وَلَا عَرَفَتْ مَخْبَأَه . وَلَمَّا يَئِسَتْ مِنَ الْعُثُورِ عَلَيْهِ ، وَهَمَّتْ بِالْهُبُوط ، لَمَحَتْ فِى الْمِرْآةِ صُورَةَ نَسْرٍ كَبِيرٍ يُحَاوِلُ أَنْ يَهْبِطَ إِلَى الْأَرْض ، فَجَعَلَتْ تَتَأَمَّلُهُ ، فَرَأَتْ « حَسَّانَ » عَلَى ظَهْرِه . . فَمَا كَانَ أَسْرَعَ مَا أَرْسَلَتِ الْجُنْدَ إِلَيْه ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَهُوَ يُحَاوِلُ النَّوْمَ عَلَى الْأَعْشَابِ بَيْنَ الْأَشْجَارِ . . .

وَمَرَّةً ثَانِيَةً وَقَفَ « حَسَّانُ » أَمَامَ الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةِ وَابْنَتِهِمَا الْأَمِيرَة . تُحِيطُ بِهِمُ الْحَاشِيَةُ وَالضُّبَّاطُ وَالْجُنُود . . . وَقَفَ « حَسَّانُ » خَجْلَانَ خَزْيَانَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْتَبِئَ فِى مَكَانٍ لَا تَكْشِفُهُ الْمِرْآةُ السِّحْرِيَّة وَبَدَأَتِ الْأَمِيرَةُ تُوَبِّخُه ، وَتَهْزَأُ بِهِ ، وَتَسْخَرُ مِنْهُ ، وَتَقُولُ لَهُ : أَنْتَ الْجَانِى عَلَى نَفْسِك ، أَيُّهَا الشَّابُّ الْمَغْرُور . . . إِنَّ مِرْآتِى تَكْشِفُ كُلَّ شَىْءٍ ؛ فِى أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ، وَفِى أَعَالِى الْجَوّ ، وَفِى بَاطِنِ الْأَرْضِ ! . . . هَيَّا يَا جُنُودُ . . . سُوقُوهُ إِلَى مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ، لِيَلْقَى جَزَاءَ غُرُورِه !

فَقَالَتِ الْمَلِكَة : يَا بِنْتِي ، يَا حَبِيبَتِي ، إِنَّ هٰذَا الْفَتَى شُجَاعٌ جَرِيء ، فَعَلَ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ غَيْرُهُ مِنْ قَبْل . . لَقَدِ اخْتَبَأَ مَرَّةً فِي بَطْنِ سَمَكَة ، وَاخْتَبَأَ هٰذِهِ الْمَرَّةَ فَوْقَ ظَهْرِ نَسْر . . فَامْنَحِيهِ فُرْصَةً أَخِيرَةِ . . .

أَطَاعَتِ الْأَمِيرَةُ أُمَّهَا وَقَالَتْ : كَمَا تَشَائِينَ يَا أُمِّي ، يَا مَلِيكَتِي . . . وَنَظَرَتْ إِلَى الْفَتَى « حَسَّانَ » وَقَالَتْ له : هٰذِهِ فُرْصَتكَ الْأَخِيرَةُ ، أَيُّها الشَّابّ !

خَرَجَ « حَسَّانُ » وَهُوَ لَا يَكَادُ يُصَدِّقُ أَنَّهُ نَجَا مِنَ ارْتِداء فَـرْوَةِ الْخَرُوف ، وَوَضْعِ الطُّرْطُورِ عَلَى رَأْسِه ، وَالْجَرْيِ حَافِياً سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة . . . وَأَخَذَ يَجْرِي وَيَجْرِي وَيَجْرِي حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ مَعَ الثَّعْلَب ، وَأَشْعَلَ النَّارَ فِي بَعْضِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْجَافَّة ، وَأَلْقَى فِيهَا شُعَيْرَاتِ الثَّعْلَب ، فَإِذَا دُخَانٌ أَخْضَرُ كَثِيفٌ يَمْلأُ الْجَوّ ، وَيُوشِكُ أَنْ يَحْجُبَ السَّمَاء ، وَإِذَا رَائِحَةٌ غَرِيبَةٌ تَفُوحُ فِي الْمَكَان ، وَإِذَا الثَّعْلَبُ يَظْهَرُ فَجْأَة ، وَيَقِفُ أَمَامَ « حَسَّان » ، و « حَسَّانُ » لا يَرَاهُ بِسَبَبِ كَثَافَةِ الدُّخَان ؛ فَيَشُدُّ الثَّعْلَبُ طَرَفَ جِلْبَابِهِ بِأَنْيَابِه ، وَيَقُولُ لَه : إِنِّي فِي

خِدْمَتِك ، أَيُّهَا الشَّابُّ الرَّحِيمِ ، الطَّيِّبُ الْقَلْب . . فَمَاذَا تُرِيد ؟ أُطْلُبْ مَاتَشَاءُ تَجِدْنِى طَوْعَ أَمْرِك !

حَكَى « حَسَّانُ » لِلثَّعْلَبِ حِكَايَتَهُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ مَشْهُورٌ بِالذَّكَاءِ وَالدَّهَاء ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تجِدَ حَلًّا لِمُشْكِلَتِى ؟ هَلْ يُمْكِنُكَ أَنْ تَدُلَّنِى عَلَى طَرِيقَةٍ أَخْتَبِئُ بِهَا ، فَلَا تَكْشِفُنِى مِرْآةُ الأَمِيرَة ؟ . . .

طَيَّبَ الثَّعْلَبُ خَاطِرَ « حَسَّان » ، وَطَمْأَنَه ، وَقَالَ لَه : لِمَ لَمْ تَطْلُبْ مُسَاعَدَتِى مُنْذُ الْمَرَّةِ الأُولَى ؟ . . . اِطْمَئِنَّ وَلَا تَخَفْ ، فَسَأُنَجِّيكَ كَمَا نَجَّيْتَنِى ، وَسَأُخْفِيكَ فِى مَكَانٍ لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِ الأَمِيرَة ، وَلَا تَسْتَطِيعُ مِرْآتُهَا السِّحْرِيَّةُ أَنْ تَكْشِفَه . . . أَنَا الثَّعْلَبُ الْمَكَّار ، أَبُو الْحِيَلِ وَالأَفْكَار . . . اِطْمَئِنَّ . . . سَأُنْقِذُكَ مِنَ الأَمِيرَةِ الْقَاسِيَة ، وِمِنْ مِرْآتِهَا السِّحْرِيَّة ، وَسَأُحَقِّقُ أَمَلَكَ فِى الزَّوَاجِ بِهَا . . اِطْمَئِنَّ يَا صَدِيقِى الْعَزِيز . . أَنَا لَا أَنْسَى أَنَّكَ أَنْقَذْتَ حَيَاتِى ، وَنَجَّيْتَنِى مِنْ سِهَامِ الصَّيَّادِ الْعَنِيد . . لَا تَخَفْ . . . قِفْ هُنَا فِى مَكَانِك ، وَانْظُرْ مَا أَفْعَل . . . وَلَا تَقْلَقْ لِغِيَابِى ، فَقَدْ أَغِيبُ يَوْماً أَوْ يَوْمَيْن . . .

وَفِى الحَالِ بَدَأَ الثَّعْلَبُ يَحْفِرُ الأَرْضَ بِمَخَالِبِهِ فِى سُرْعَةٍ فَائِقَة ، حَتَّى حَفَرَ نَفَقاً طَوِيلًا ، غَابَ فِيهِ عَنْ عَيْنَىْ « حَسَّان » . . . وَمَرَّ الْيَوْمُ الأَوَّل ، وَالْيَوْمُ الثَّانِى ، وَالثَّعْلَبُ لَمْ يَظْهَر ، فَبَدَأَ الْقَلَقُ يَغْزُو قَلْبَ « حَسَّانَ » شَيْئاً فَشَيْئاً ، حَتَّى فَقَدَ الأَمَلَ ، وَظَنَّ أَنَّ الثَّعْلَبَ مَكَرَ بِهِ ، فَكَادَ يُغْمَى عَلَيْهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمّ . . .

وَفَجْأَةً خَرَجَ الثَّعْلَبُ مِنَ النَّفَق ، وَقَالَ لِصَدِيقِهِ « حَسَّان » : تَعَالَ وَرَائِى . . . أَسْرِعْ فَقَدِ اقْتَرَبَ الوَقْتُ الَّذِى تَصْعَدُ فِيهِ الأَمِيرَةُ إِلَى سَطْحِ الْقَصْر . . هَيَّا اتْبَعْنِى . . . إِنَّ هٰذَا النَّفَقَ يَصِلُ بِكَ إِلَى حُجْرَةِ الأَمِيرَة . . . وَلَنْ يَخْطُرَ بِبَالِهَا أَنَّكَ مُخْتَبِئٌ فِى قَصْرِهَا ، وَتَحْتَ حُجْرَتِهَا . . . فَإِذَا نَظَرَتْ فِى مِرْآتِهَا فَلَنْ تَرَاك . . . وَلَنْ تُفَكِّرَ فِى أَنْ تَنْظُرَ تَحْتَ قَدَمَيْهَا . . . وَحِينَئِذٍ تَنْزِلُ إِلَى حُجْرَتِهَا غَاضِبَةً سَاخِطَة ، فَإِذَا أَحْسَسْتَ بِهَا فَارْفَعِ الْخَشَبَةَ الَّتِى فِى نِهَايَةِ النَّفَق ، وَاصْعَدْ إِلَى وَسَطِ الْحُجْرَة ، تَجِدْ نَفْسَكَ أَمَامَ الأَمِيرَة ، فَقُلْ لَهَا : لَقَدْ غَلَبْتُك !

وَحِينَمَا وَصَلَ « حَسَّانُ » وَالثَّعْلَبُ إِلَى آخِرِ النَّفَق ، كَانَتِ الأَمِيرَةُ

تَصْعَدُ فِى السُّلَّمِ إِلَى سَطْحِ الْقَصْرِ ، وَمَعَهَا مِرْآتُهَا السِّحْرِيَّةُ ، لِتَبْحَثَ عَنْ مَخْبَإِ « حَسَّان » . أَمَّا الثَّعْلَبُ فَقَدْ بَقِىَ لَحْظَةً مَعَ « حَسَّان » ، وَأَعَادَ عَلَيْهِ وَصِيَّتَهُ بِرَفْعِ الْخَشَبَةِ الَّتِى تُغَطِّى فَتْحَةَ النَّفَقِ ، عِنْدَمَا يَشْعُرُ بِأَنَّ الْأَمِيرَةَ فِى الْحُجْرَةِ . ثُمَّ وَدَّعَهُ وَهُوَ يَدْعُو لَهُ بِالتَّوْفِيقِ . . .

وَقَفَتِ الْأَمِيرَةُ عَلَى سَطْحِ الْقَصْرِ ، وَجَعَلَتْ تُقَلِّبُ مِرْآتَهَا فِى كُلِّ جِهَةٍ ، وَتُنْعِمُ النَّظَرَ فِيهَا ، فَلَا تَرَى أَثَراً لِهٰذَا الْخَاطِبِ الْمُخْتَبِئِ تَحْتَ حُجْرَتِهَا . . . حَوَّلَتِ الْمِرْآةَ نَحْوَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ ، وَحَدَّقَتْ إِلَى أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ، وَتَطَلَّعَتْ إِلَى أَعَالِى الْفَضَاءِ ، فَلَمْ تَعْثُرْ عَلَى مَخْبَإِ « حَسَّان » ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ كَشْفَ مَكَانِهِ ، فَعَجِبَتْ لِاخْتِفَائِهِ ، وَأَخَذَتْ تَنْزِلُ إِلَى حُجْرَتِهَا ، وَهِىَ حَزِينَةٌ فَرْحَانَةٌ فِى وَقْتٍ وَاحِدٍ . . .

كَانَتْ حَزِينَةً مُغْتَاظَةً لِأَنَّ « حَسَّانَ » غَلَبَهَا ، وَاسْتَطَاعَ الِاخْتِفَاءَ عَنْ مِرْآتِهَا السِّحْرِيَّةِ ؛ وَكَانَتْ فِى الْوَقْتِ نَفْسِهِ سَعِيدَةً فَرْحَانَةً ، لِأَنَّهُ نَجَحَ فِى اخْتِفَائِهِ ، وَأَنَّهُ – لِهٰذَا النَّجَاحِ – سَيَكُونُ زَوْجاً لَهَا ؛ فَإِنَّ قَلْبَهَا قَدْ مَالَ إِلَيْهِ مُنْذُ رَأَتْهُ ، وَشَاهَدَتْ بَسَاطَةَ ثِيَابِهِ ، وَسَمِعَتْ حَدِيثَهُ الْقَوِىَّ الْمُهَذَّبَ ، وَعَلِمَتْ شَجَاعَتَهُ وَجُرْأَتَهُ ؛ فَقَالَتْ فِى صَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : أَيْنَ اخْتَفَى هٰذَا الشَّابُّ ؟ ! لَيْتَهُ يَظْهَرُ الْآنَ !

وَفَجْأَةً رَأَتْ لَوْحَ خَشَبٍ يَرْتَفِعُ مِنْ أَرْضِ الْحُجْرَةِ ، وَرَأَتْ « حَسَّانَ » يَقِفُ أَمَامَهَا قَائِلاً : مَا رَأْيُكِ الْآنَ ، يَا أَمِيرَتِى الْعَزِيزَةَ ؟ ! أَظُنُّنِى نَفَّذْتُ شَرْطَكِ ، وَاخْتَفَيْتُ حَتَّى عَجَزَتْ مِرْآتُكِ السِّحْرِيَّةُ عَنْ كَشْفِ مَخْبَئِى ! لَقَدْ غَلَبْتُكِ !

قَالَتِ الْأَمِيرَةُ : صَدَقْتَ ، أَيُّهَا الشَّابُّ الشُّجَاعُ . . . وَقَدْ قَبِلْتُ أَنْ أَكُونَ زَوْجَةً لَكَ !

وَذَاعَ فِى الْقَصْرِ ، وَفِى الْمَدِينَةِ كُلِّهَا ، أَنَّ الشَّابَّ الْغَرِيبَ الَّذِى تَقَدَّمَ لِخِطْبَةِ الْأَمِيرَةِ قَدْ نَجَحَ فِى اخْتِفَائِهِ ، وَأَنَّ الْمِرْآةَ السِّحْرِيَّةَ لَمْ تَكْشِفْ مَخْبَأَهُ.

صَحِبَتِ الأَمِيرَةُ « حَسَّانَ » إِلى أَبَوَيْهَا ، وَقَالَتْ لَهُمَا : لَقَدْ نَجَحَ هٰذَا الشَّابُّ فِى الاخْتِفَاء ، فَلَمْ تَكْشِفْهُ مِرْآتِى السِّحْرِيَّة ، وَوَجَبَ أَنْ أَفِىَ بِالشَّرْط . فَلْيَأْمُرْ أَبِى العَزِيزُ بِإِعْدَادِ الاحْتِفَالَات ، وَإِقَامَةِ الزِّينَات ، وَتَوْزِيعِ الهَدَايَا وَالهِبَات . . .

أَخَذَ الحَاشِيَةُ وَالجَيْشُ وَأَهْلُ المَدِينَةِ جَمِيعاً يُعِدُّونَ مُعِدَّاتِ الفَرَحِ بِزَوَاجِ أَمِيرَتِهِم الحَسْنَاء ، بِالشَّابِّ الجَرِىء « حَسَّان » . . .

وَأُقِيمَتِ الزِّينَاتُ فِى كُلِّ مَكَان ، وَتَحَدَّدَ مَوْعِدُ عَقْدِ الزَّوَاج ، وَأَخَذَ رِجَالُ الدَّوْلَةِ وَالعُلَمَاءُ وَالعُظَمَاءُ يَتَوَافَدُونَ إِلى القَصْرِ المَلَكِىِّ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ سَعِيدٌ مُنْشَرِحُ القَلْب ، لِأَنَّ الأَمِيرَةَ سَتَتَزَوَّج ، وَلِأَنَّ عَهْدَ السُّخْرِيَةِ مِنَ الأُمَرَاء قَدِ انْتَهى . . .

وَلَمَّا تَقَدَّمَ القَاضِى لِيَعْقِدَ الزَّوَاج ، وَقَفَ « حَسَّانُ » وَقَالَ : عُذْراً ، يا مَوْلَاىَ المَلِك . . . عُذْراً أَيُّهَا السَّادَةُ الكِرَام . . . أَرْجُو أَنْ تَسْمَعُوا حَدِيثِى ، وَتَعْرِفُوا قِصَّتِى . . . إِنِّى لَأُجِلُّ الأَمِيرَةَ كُلَّ الإِجْلَالِ ، وَأَتَمَنَّى لَوْ أَسْتَطِيعُ الزَّوَاجَ بِهَا ، لٰكِنِّى نَشَأْتُ صَيَّاداً فَقِيراً ، وَلَمْ أَتَعَوَّدِ الحَيَاةَ

الَّتِي تحيَاهَا الأَمِيرَةُ العَظِيمَة . . وَلِهٰذَا أَرَانِي لَا أَصْلُحُ زَوْجاً لَهَا !

هَاجَ الْجَمِيعُ وَمَاج ، وَخَجِلَتِ الْأَمِيرَةُ وَاضْطَرَبَت ، وَكَادَتْ يُغْمَى عَلَيْهَا ، فَأَسْرَعَ « حَسَّانُ » ووَقَفَ بِجَانِبِهَا ، وَرَفَعَ صَوْتَه قَائِلًا : عُذْراً جَمِيلاً ، يَا سَادَة . . . إِنِّي لَا أَقْصِدُ إِلَّا أَنْ أَشْرَحَ لَكُمْ أَمْرِي ، لِتَكُونَ الْأَمِيرَةُ الْعَظِيمَة ، وَلِتَكُونُوا جَمِيعاً ، عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِي . . . لَا أُخْفِي عَلَيْكُمْ أَنِّي تَقَدَّمْتُ لِخِطْبَةِ الأَمِيرَة ، وَلَيْسَ فِي نِيَّتِي أَنْ أَتزَوَّجَهَا . . . وَإِنَّمَا كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هٰذِهِ الأَمِيرَةَ الْقَاسِيَةَ دَرْساً قَاسِياً ، حَتَّى تَمْتَنِعَ عَنِ السُّخْرِيَةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ لِخِطْبَتِهَا ، وَحَتَّى تَخْتَار زَوْجَهَا بِالطَّرِيقِ اللَّائِقِ الْمَأْلُوف . . .

ثُمَّ نَظَرَ « حَسَّانُ » إِلَى الْأَمِيرَةِ وَقَالَ لَهَا : عُذْراً ، يَا أَمِيرَتِي الْجَلِيلَة . . لَقَدْ قَبِلْتِ أَنْ تَتَزَوَّجِينِي ، لِأَنِّي اسْتَطَعْتُ أَنْ أَخْتَبِئَ فِي مَكَانٍ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِك ، فَلَمْ تَكْشِفْهُ مِرْآتُكِ السِّحْرِيَّة . . . لَقَدْ نَفَّذْتُ شَرْطَك ، وَنَجَحْت ، وَغَلَبْتُك . . . وَلٰكِنَّ هٰذَا لَا يَكْفِي لِنَكُونَ زَوْجَيْنِ سَعِيدَيْن . . فَإِنْ شِئْتِ أَنْ تَتَزَوَّجِينِي ، بَعْدَ هٰذَا الَّذِي عَرَفْتِ مِنْ أَمْرِي ، فَعَلَيْكِ أَنْ تَقْبَلِي الْحَيَاةَ

مَعِي حَيْثُ أَعِيش . . . فِي قَصْرِ أَمِير ، أَوْ فِي كُوخِ صَيَّاد . . . عَلَيْكِ أَنْ تَنْسَى أَنَّكِ أَمِيرَة ، وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّكِ سَتَصِيرِينَ زَوْجَةَ صَيَّادٍ فَقِير ، يَعِيشُ مِنْ كَدِّهِ وَعَرَقِ جَبِينِه ، وَلَا يَقْبَلُ أَنْ يَعِيشَ عَالَةً عَلَى الْمُجْتَمَع ، يَأْكُلُ مِنْ تَعَبِ الآخَرِينَ وَجُهْدِهِم ، بِدُونِ أَنْ يُفِيدَهُمْ فَائِدَةً تُذْكَر . . .

اصْفَرَّ وَجْهُ الأَمِيرَة ، وَاضْطَرَبَتْ فِي مَجْلِسِهَا ، وَارْتَعَشَتْ أَطْرَافُهَا ، وَأَصَابَهَا ذُهُولٌ وَدُوَار . فَسَقَطَتِ الْمِرْآةُ السِّحْرِيَّةُ مِنْ يَدِهَا ، وَتَحَطَّمَتْ قِطَعاً صَغِيرَة ، مُحْدِثَةً دَوِيًّا كَالرَّعْد ؛ فَأَسْرَعَ الْخَدَمُ يَجْمَعُونَ قِطَعَ الْمِرْآةِ الْمُحَطَّمَة ، فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئاً . . . لَقَدِ اخْتَفَت ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَر !

ثُمَّ تَمَالَكَتِ الأَمِيرَةُ نَفْسَهَا ، وَوَقَفَتْ مُنْتَصِبَة ، وَقَالَت : أَيُّهَا الشَّابُّ

الْجَرِىءُ الطَّيِّبُ الْقَلْب ، الْغَنِيُّ النَّفس ، النَّبِيلُ الْحِسّ ، لَقَدْ قَبِلْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَك . . وَأُعَاهِدُكَ أَنْ أَكُونَ مُطِيعَةً لَك ، وَأَنْ أَحْيَا مَعَكَ حَيْثُ تُحِبّ ، وَأَيْنَ تَشَاء . . .

وَتَمَّ زَوَاجُ « حَسَّانَ » وَالأَمِيرَة ، وَعَاشَا مَعاً فِى هَنَاءَةٍ وَسُرُور ، وَأَصْبَحَتِ الأَمِيرَةُ رَبَّةَ بَيْتٍ مُمْتَازَة ، تُجِيدُ الطَّبْخ ، وَتُدَبِّرُ بِنَفْسِهَا شُئُونَ الْبَيْتِ كُلَّهَا . . .

أَمَّا « حَسَّانُ » فَقَدْ تَعَلَّمَ عُلُومَ الْحَرْبِ وَالسِّيَاسَة ، وَأَصْبَحَ ضَابِطاً مُمْتَازاً فِى جَيْشِ وَطَنِهِ الْجَدِيدِ . . . وَكَانَ سَعِيداً فِى حَيَاتِه ، مَعَ زَوْجَتِهِ الأَمِيرَةِ الْجَمِيلَة ، وَسَعِيداً بِأَنَّهُ صَارَ مُتَعَلِّماً وَضَابِطاً عَظِيماً ؛ لَكِنَّ سَعَادَتَهُ فِى الْحَقِيقَةِ لَمْ تَكُنْ كَامِلَة ؛ فَقَدْ كَانَ تَفْكِيرُهُ فِى أَبِيهِ ، وَفِيمَا هُوَ عَلَيْه ، يُنَغِّصُ عَلَيْهِ سَعَادَتَهُ . . . أَمَاتَ أَبُوهُ أَمْ لَا يَزَالُ حَيًّا ؟ وَإِذَا كَانَ حَيًّا فَكَيْفَ يَعِيشُ الآنَ وَحِيداً ، لَا زَوْجَةَ وَلَا وَلَد ؟ !

وَفِى صَبَاحِ أَحَدِ الأَيَّامِ أَخْبَرَ « حَسَّانُ » زَوْجَتَهُ أَنَّهُ يَنْوِى السَّفَرَ إِلَى بَلَدِهِ ، لِيَعْرِفَ أَخْبَارَ أَبِيهِ ، فَطَلَبَتْ أَنْ تُسَافِرَ مَعَه ، فَقَالَ لَهَا : إِنَّ السَّفَرَ شَاقّ ، وَالْمَسَافَةَ طَوِيلَة ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فِى النَّهَارِ وَفِى اللَّيْل .

بِدُونِ رَاحَة ، حَتَّى أَصِلَ سَرِيعاً ، وَلَا أَتَأَخَّرَ فِي الْعَودَة . . .

وَاسْتَأْذَنَ « حَسَّانُ » حَماهُ الْمَلِكَ فِي السَّفَر ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَأَمَر لَهُ بِعَرَبَةٍ مَلَكِيَّةٍ تَجُرُّهَا سِتَّةُ خُيول ؛ وَأَمَر أَنْ يُسَافِرَ فِي صُحْبَتِهِ بَعْض زُمَلائِهِ الضُّبَّاط ، حَتَّى لَا يُحِسَّ الْوَحْدَةَ وَالْوَحْشَة . . .

وَصَلَ « حَسَّانُ » إِلَى بَلْدَتِهِ ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا ، فَقَدْ تَغَيَّرَتْ هَيْئَته ، لِثِيَابِهِ الْأَنِيقَة ، وَالْأَوْسِمَةِ الَّتِي تُزَيِّنُ صَدْرَه . وَكُلَّمَا قَابَلَ أَحَدَ زُمَلَائِه ، وَقَالَ لَهُ إِنَّنِي « حَسَّان » ، ضَحِكَ مِنْهُ زَمِيلُه ، وَتَرَكَهُ وَانْصَرَفَ عَنْه ، وَهُوَ يَقُولُ : « حَسَّان » ؟ . . . رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه . . . لَقَدْ غَرِقَ مُنْذُ سَبْعَةِ أَشْهُر !

فَذَهَبَ إِلَى بَيْتِ أَبِيه ، وَطَرَقَ بَابَه ، فَفَتَحَ لَهُ غُلَامٌ فِي السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِه ، فَسَأَلَهُ عَنْ « عَمّ مَنْصُور » ، فَسَمِعَ صَوْتاً مِنَ الدَّاخِلِ يَقُولُ : مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُ عَنِّي يَا عَلِيّ ؟ فَقَالَ الْغُلَامُ : إِنَّهُمْ خَمْسَةُ ضُبَّاطٍ يَا عَمِّي . . .

خَرَجَ « عَمّ مَنْصُور » لِيُقَابِلَ الضُّبَّاط ، وَلِيَعْرِفَ مَاذَا يُرِيدُونَ مِنْه ، وَهُوَ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً حَتَّى يَأْتِيَ ضُبَّاطٌ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا وَقَفَ أَمَامَهُم ، انْدَفَعَ « حَسَّانُ » نَحْوَهُ يُعَانِقُه ، وَيُقَبِّلُ وَجْهَهُ وَيَدَيْه ، وَيَقُولُ : أَبِي . . .

أَبِي . . . أَنَا ابْنُكَ « حَسَّان » . . . لَقَدْ أَخْفَيْتُ عَلَيْكَ الْحَقِيقَةَ حِينَمَا قُلْتُ لَكَ إِنَّ السَّمَكَةَ قَدْ غَلَبَتْنِي . . . إِنَّهَا لَمْ تَغْلِبْنِي ، ولَكِنِّي أَنَا أَطْلَقْتُهَا . . .

وَكَانَ لِقَاءٌ سَعِيدٌ بَيْنَ الابْنِ وَأَبِيه . وَحَكَى « حَسَّانُ » لِأَبِيهِ مَا جَرَى لَهُ ، وطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِلسَّفَرِ مَعَه ، لِيَعِيشَ مَعَهُ ومَعَ زَوْجَتِهِ الْأَمِيرَة ، فِي وَطَنِهِ الْجَدِيد . . .

وَتَرَكَ « عَمّ مَنْصُور » لِلْغُلَامِ « عَلِيٌّ » الْبَيْتَ وَمَا فِيه ، وَأَدَوَاتِ الصَّيْدِ كُلَّهَا ، وسافَرَ مَعَ ابْنِه ، فَعَاشَ بَقِيَّةَ أَيَّامِهِ فِي أَطْيَبِ عِيشَةٍ وَأَهْنَإِ حَيَاة . . .

وَمَرَّتْ سِنُون . . . وَمَاتَ الْمَلِك ، فَصَارَتِ ابْنَتُهُ الْأَمِيرَةُ مَلِكَة ، وَصَارَ زَوْجُهَا « حَسَّانُ » مَلِكاً . . . وَحَكَمَا مَعاً بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَان ، فَعَاشَا سَعِيدَيْن ، وَأَسْعَدَا شَعْبَهُمَا .

رقم الإيداع	١٩٩٤ / ٢٨٠٢
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-4403-1

٧ / ٩٤ / ٣٣
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)